فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صُوًى و«مناراً» كمنار الطريق

٣٠ صفر سنة ١٣٤٣ — الميزان ١٣٠٤ هـ ش — ٢٨ سبتمبر ١٩٢٤

تفسير القرآن الحكيم

(١٣٧) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ، قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٤٠) وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ، وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ

﴿ قصة موسى مع بني اسرائيل ﴾

هذه الآيات وما بعدها شروع في قصة موسى عليه السلام مع قومه بني اسرائيل معطوفة على قصته مع فرعون وقومه على اكمل وجوه العبرة مع السلامة من لغو القصص والتاريخ . قال عز وجل

﴿ وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ﴾ جاز الشيء وجاوزه وتجاوزه عداه وانتقل عنه ، والعكوف على الشيء الاقبال عليه وملازمته على سبيل التعظيم ومنه العكوف والاعتكاف في المسجد وهو ملازمته لاجل العبادة. قرأ حمزة والكسائي يعكفون بكسر الكاف من باب جلس يجلس والباقون بضمها من باب قعد يقعد. والاصنام جمع صنم وهو مايصنع من الخشب أو الحجر أو المعدن مثالا لشيء حقيقي أو خيالي أو مذكرا به ليعظم تعظيم العبادة ، واتخذ بعض العرب في الجاهلية صنما من عجوة التمر فعبدوه ثم جاعوا فأكلوه . والفرق بينه وبين التمثال ان هذا لا بد أن يكون مثالا لشيء — وأنه قد يكون للعبادة وحينئذ يسمى صنما وقد يكون للزينة كالذي تراه على جدران بعض القصور المشيدة أو أبوابها أو في حدائقها ، وقد يكون للتعظيم والتكريم غير الديني كالتماثيل التي تنصب لبعض الملوك وكبار علماء الدنيا أو القواد والزعماء لتذكير تاريخهم والحمل لهم للاقتداء بهم، ويكثر هذا في بلاد الافرنج وقلدهم فيه بلاد الشرق كمصر فنصبت حكومتها تماثيل لبعض امراء بيت الملك الحاضر وغيرهم من رجالهم . والفرق بين هذا التعظيم السياسي أو الملي وبين تعظيم العبادة أن الغرض من الاول اما رفعة شأن الدولة وتمكين سلطانها في انفس الامة بمشاهدة صور ملوكها وكبراء رجالها وتماثيلهم وهو قصد سياسي صحيح عند اهله — واما بعث شعور حب العلم والاقتداء بالعلماء والادباء والزعماء الذين نفعوا امتهم عسى أن يوجد في المستعدين من يكون مثلهم أو خيرا منهم ، وهو قصد اجتماعي صحيح عند علماء التربية. وأما تعظيم العبادة فالغرض منه التقرب من المعبود وطلب ثوابه بدفع ضير أو جلب منفعة من طريق الغيب لا الكسب والتعاون عليه من طريق الاسباب. فتعظيم المخلوق أو تعظيم مايذكر به من صورة أو تمثال أو قبر أو ثوب أو غير ذلك من آثاره لاجل التقرب اليه وقصد الانتفاع به في الامور التي لاتنال بالاسباب العامة — وهي مالا يطلب إلا من الله تعالى — أو لاجل التقرب الى الله تعالى بجاهه — كل ذلك عبادة ظاهرة، فان قصد المعظم لذلك الشخص أو لما يذكر به الانتفاع به نفسه بما ذكر من التعظيم بالقول كالدعاء والاستغاثة أو بالفعل كالطواف بتمثاله أو قبره وتقبيله والتمرغ بأرضه. كانت العبادة خالصة

له من دون الله، وان قصد التقرب به الى الله تعالى ليحمله بجاهه على اعطائه ما يريد كانت العبادة له ولله تعالى بالاشتراك، وهذا من مظاهر الشرك الجلي، لا يخرجها تغيير التسمية عن كونها كفراً أو شركا

(استطراد فقهي)

حظر الشرع الاسلامي نصب التماثيل لانها إما شرك أو ذريعة له أو تشبه بأهله وهي على هذا الترتيب في التدلي فأغلظها أولها وأخفها ثالثها. وللتشبه درجات في الحظر أشدها ما كان في أمور الدين فانه قد يكون كفراً، وأهونها ما كان في العادات وأمور الدنيا فنجتنب منه ما لنا غنى عنه وما كان نافعا غير ضار بنفسه لا نأخذه بقصد التشبه فقط لانه لا يكون الا من تعظيم المتشبه لغير أهل ملته وهو يتضمن أو يستلزم احتقارها أو احتقارهم والشعور بأنهم دونهم. وأما اقتباس العلم والحكمة والفنون والصناعات النافعة لاجل منفعتها بقدرها فليس من التشبه ولا من تفضيل المقتبس منهم على أهل ملته لان هذه الامور ليست من أمور الدين ولا اقتبست لاجل التعظيم بل لفائدتها، وقد تكون هذه الفائدة مما تعتز به ملة المقتبس المستفيد وأهلها . ومن ذلك أخذ النبي (ص) عمل الخندق عن الفرس اذ أخبره سلمان (رض) عنهم بذلك وقد يكون هذا الاخذ واجبا شرعا ومنه أخذنا لفنون الحرب وصناعاتها وآلاتها عن الافرنج اذ أتقنوها قبلنا، فهو فرض كفاية بلا نزاع فالامة الحية تقتبس كل شيء نافع يغذي حياتها ويزيدها قوة وعزة، وتتقي في ذلك كل ما فيه ضعف لها في مقوماتها أو مشخصاتها ولا سيما اذا كان فيه تفضيل لخصومها أو غيرهم عليها، وقد فطن اليابان لهذه القاعدة فحافظوا على شؤونهم الملية والقومية عند اقتباسهم لعلوم الفرنجة وفنونها فصاروا مثلهم في ثلث قرن . وغفل عنه الترك والمصريون فأضاعوا ملكهم.

وليس في نصب التماثيل فائدة ومنفعة ذات بال لا تحصل بغيرها تبيح للمسلمين تقليد الوثنيين والنصارى فيها ولو في جعلها لغير رجال الدين بعدا عن شبهة عبادتها، ومن ذا الذي يأمن هذا وقد عبدت قبور الاولياء وأئمة آل البيت كما عبد غلاة الشيعة من الباطنية أشخاصا منهم احياء وامواتا، ونرى الشيعة المعتدلين الذين استباحوا نصب التماثيل غير الدينية قد اتخذ بعضهم في هذه الايام تمثالا لامير المؤمنين علي كرم الله وجهه في بلاد إيران كما نقلت صحف الاخبار عنهم. وأما الصور فلها فوائد في الحرب وحفظ الامن وتحقيق معاني اللغة وكثير من العلوم ولا سيما

الطب والتشريح .... فلا يحظر منها ما ليس عبادة ولا تشبها بعبدة الاصنام بدليل ما ثبت في السنة الصحيحة من أمر النبي (ص) بهتك القرام (الستار) الذي نصبته (عائشة) في حجرتها اذ كان على هيئة الصور والتماثيل المعبودة فلما جعلت منه وسادة كان صلى الله عليه وسلم يستعملها وفيها الصور اذ كان الاتكاء والنوم عليها امتهانا لا تعظيما ولا يشبه التعظيم الوثني وقد حققنا هذا البحث ببيان ما ورد فيه من الاحاديث والآثار وأقوال العلماء في فتاوي المنار مرارا

نعود الى تفسير الآية

ومعنى النظم الكريم : « وجاوزنا ببني اسرائيل البحر » انهم تجاوزوه بعنايته سبحانه وتأييده اياهم بفلق البحر، وتيسير الامر، حتى كأنه كان معهم بذاته لمجاوزته مصاحبا لهم، أو المعنى انا أيدناهم ببعض ملائكتنا لمجاوزتهم البحر بأمرنا، فمن المعهود في اللغة أن ينسب الى الملوك ورؤساء القواد ما ينفذه بعض اتباعهم بامرهم، وما يقع بجاههم وقوة سلطانهم، ويجوز الجمع بين المعنيين، ففرق البحر بهم كان بعناية الله وقدرته. وفي آخر الفصل الثالث عشر من سفر الخروج ذكر خبر ارتحال بني اسرائيل وقال «٢١ وكان الرب يسير امامهم نهارا في عمود من غمام ليهديهم الطريق وليلا في عمود من نار ليضيء لهم ليسيروا نهارا وليلا (٢١) لم يبرح عمود الغمام نهارا وعمود النار ليلا من أمام الشعب» ثم جاء في الفصل الرابع عشر منه بعد ذكر إتباع فرعون ومن معه بني اسرائيل « ١٩ فانتقل ملاك الله السائر امام عسكر بني اسرائيل فصار وراءهم وانتقل عمود الغمام من امامهم فوقف وراءهم (٢٠) ودخل بين عسكر المصريين وعسكر اسرائيل، فكان من هنا غماما مظلما، وكان من هناك ينير الليل، فلم يقترب أحد من الفريقين طول الليل »

وهذا بعض ما جاء في التوراة مما يصح أن يكون تفسيرا لقوله تعالى في القرآن (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) فالباء هنا للمصاحبة كقولك سافرت به وجئت به، واسناد المسير في عمود الغمام الى الرب مجازي كقوله تعالى (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) « فأتوا » عقب تجاوزهم إياه ودخولهم في بلاد العرب من البر الاسيوي « على قوم يعكفون على أصنام لهم » يعبدونها، فهذا كان من شأنهم اذا رأوهم يعبدون غير الله تعالى كالمصريين الذين انقذهم الله تعالى منهم، وأراهم آياته على وحدانيته فيهم ؟ هل استهجنوا

شركهم وانكروه كما هو الواجب عليهم والمعقول ممن رأى ما رأوا من سوء مصير المشركين، وحسن عاقبة الموحدين؛ الجواب انهم لم ينكروه بألسنتهم ولا قلوبهم، بل « قالوا يا موسى اجعل لهم إلها كما لهم آلهة » حنينا منهم الى ما ألفوا في مصر من عبادة آلهة المصريين وتماثيلها وانصابها وقبورها، فعلم بهذا الطلب انهم لم يكونوا فهموا التوحيد الذي جاء به موسى كما فهمه من آمن من سحرة المصريين، لان السحرة كانوا من العلماء فامكنهم التمييز بين آيات الله تعالى التي لا يقدر عليها غيره وبين السحر الذي هو من صناعات البشر وعلومهم، وأما هؤلاء الاسرائيليون فكانوا من العامة الجاهلين الذين بلد الذل افهامهم ، وانما تبعوا موسى لانقاذه اياهم من ظلم فرعون وتعبيده لهم، لا لفهمهم حقيقة التوحيد بالآيات الدالة عليه ولذلك قيل انهم بعض القوم لا جميعهم ، فالتوحيد المحض الخالص من شوائب الشرك والوثنية هو غاية ما يرتقي اليه عرفان البشر، وهو المراد من قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) على القول بأن اللام للغاية ، وهو لا يقتضي حصوله لكل فرد [illegible] التوحيد لما وقع من تبرمهم بالتكاليف وتمردهم على موسى [illegible] علينا في كتابه، وفي التوراة التي [illegible] من الزيادة عليها والتحريف له في مواطن العجيب، وقد ابتلاهم الله تعالى وربّاهم بالحسنات والسيئات ، وحرم الارض المقدسة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض، حتى انقرض ذلك الجيل الذي نشأ في حجر الوثنية ، وشب أو اكتهل اوشاخ في ذل العبودية الفرعونية . وقد رأينا نموذجا لذلك في شعوب من امتنا ولدوا في مهد الظلم، وشبوا في حجر النفاق والفسق، فسنحت لاعلمهم بشؤون الاجتماع والعمران فرص متعددة كان يرجى أن يحرروا فيها أنفسهم من رقها السياسي ويستقلوا بأمرهم، فأضاعوها واحدة بعد اخرى، وكان هذا من عبر التاريخ التي تثبت أن فلاح الامم باخلاقها وعقائدها، وأن العلم الناقص شر من الجهل المطلق، وان العلم الصحيح في الرجل أو الشعب الفاسد الاخلاق كالسيف في يد المجنون ربما جنى به على صديقه أو على نفسه وربما انتصر به على عدوه

ولم يبين لنا كتاب الله تعالى ولا رسوله (ص) شيئا من امر القوم الذين أتى عليهم بنو اسرائيل عقب خروجهم من مصر الى ارض العرب والظاهر انهم من العرب الذين كانوا يقيمون بقرب حدود مصر روي عن قتادة انهم من عرب لخم وعن أبي عمران الجوني لخم وجذام . وعن ابن جريج أن اصنامهم كانت

تماثيل بقر من نحاس ، فلما كان عجل السامري شبه لهم أنه من تلك البقر فذلك كان أول شأن العجل لتكون لله عليهم حجة فينتقم منهم بعد ذلك (أقول) ولم يكن ابن جريج يعلم أن قدماء المصريين كانوا يعبدون عجلا اسمه (أبيس) وكان بنو اسرائيل يعبدونه معهم كغيره من معبوداتهم ، ويرون تماثيله منصوبة في معابدهم ، وان السامري لم يصنع لهم العجل بعد ذلك الا لما كان من إلفهم لعبادته ، وتأثر اعصابهم بها وورثوا من مظاهر روعته ، ولذلك قال تعالى فيهم (واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) والمراد عجل السامري وقد علل اشرابهم اياه في قلوبهم بما كان من كفرهم السابق أي بالوراثة المتغلغلة في النفس بطول الزمان وتعاقب الاجيال ، فذلك الذي يطول تأثيره في الاعقاب والانسال ؛ ألم تر الى ما استحدثه بعض المبتدعة في الاسلام وقلدهم فيه بعض الملوك من المنسوبين الى السنة : من تشييد القبور ، وتزيينها بالعمائم والستور ، وبناء القباب فوقها ، واتخاذها مساجد يصلى اليها أولها ، وايقاد السرج والشموع عليها ، انه قد جعل لها مكانة دينية كبيرة في قلوب عامة المسلمين حتى صارت عندهم من شعائر الدين ، بحيث يعدون من ينهى عن الاحداث التي لعن فاعلها رسول الله ورسوله لمن يفعل ذلك مبتدعا ... ويلقبونه في بعض البلاد بلقب « وهابي » اذ كانت طائفة من الحنابلة في بلاد العرب سميت الوهابية قد عمدوا الى ازالة هذه المنكرات بأيديهم ، لما لم يؤثر في ازالتها انكار علماء السنة المصلحين لها بألسنتهم وأقلامهم ، عملا بقوله (ص) « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان » يعني الانكار بالقلب وحده ، ولوم العجز عما فوقه . والحديث رواه احمد ومسلم واصحاب السنن الاربعة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

اذا علمنا هذا الشأن من شؤون الضعف البشري فلا نعجب أن روي عن بعض حديثي العهد من الصحابة بالاسلام ، مثل ما طلب بنو اسرائيل من موسى عليه السلام ، بما كان من تأثير مظاهر الوثنية في قلوبهم : روى احمد والنسائي واكثر مصنفي التفسير المأثور عن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله (ص) قبل حنين فمررنا بسدرة فقلت يا رسول الله اجعل لنا هذه ذات انواط كما للكفار ذات انواط ، فقال « الله اكبر ، هذا كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا الها كما لهم آلهة) انكم تركبون سنن من قبلكم » وروى نحوه ابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني

من كثير بن عبد الله بن عوف عن أبيه عن جده مرفوعا وذكر أن المكان الذي طلبوا فيه ذلك بين حنين والطائف. والعبرة في هذا أن للمسلمين الآن ذوات انواط في بلاد كثيرة كشجرة « ست المنصورة » وشجرة الحنفي بمصر، ونحو من ذلك ما اتخذوه من القبور والاشجار والاحجار والآثار يعكفون عليها، ويطوفون حولها، ويقبلونها ويتمرغون باعتابها، ويتمسحون بها خاضعين ضارعين، خاشعين داعين، راجين شفاء الادواء، والانتقام من الاعداء، والغنى والثراء، وحبل المقيم، ورد الضالة، وغير ذلك من النفع وكشف الضر، خلافا لنصوص كتاب الله عز وجل. ولكنهم لا يعلمون أنها تسمى في اللغة العربية آلهة وأن جل ما يأتونه عندها يسمى عبادة، وأنه شرك جلي لا يغفر، ولا فرق بينه وبين شرك عرب الجاهلية وأمثالهم الا الاختلاف في التسمية، فأولئك كانوا يسمون الاشياء بأسمائها لانهم أهل اللغة، وهؤلاء تحاموا اطلاق لفظ الاله والمعبود والعبادة في هذا المقام، واستباحوا غيرها من الالفاظ كالاولياء والشفعاء والوسيلة والتوسل وهي مشتركة أيضا ولكنها مستعملة في الاسلام بغير المعاني التي كانت تستعمل بها في الجاهلية، فأولع العامة الناس باطلاق الالفاظ دون حقائق المعاني. وحقيقة معنى العبادة في اللغة العربية وكذا في غيرها من اللغات يشمل كل قول أو عمل يوجه الى معظم يرجى نفعه أو يخشى ضره وحده ـ وهذا توحيده ـ أو يرجى ويخاف بالتأثير عند الله تعالى ـ وهذا هو الشرك ـ بشرط أن يكون هذا الرجاء فيه أو الخوف منه لامر غيبي خارج عن الامور الكسبية والاسباب الدنيوية، وقد سبق شرح هذا مرارا، ويظن أهل العلم بكتب الفقه والكلام الذين لم يطلعوا على ملل الوثنيين أنهم يعبدون الاصنام وغيرها من المخلوقات التي يتبركون بها لذاتها، ويعتقدون انها تضر وتنفع بقدرتها وارادتها، والصحيح أنهم يتوسلون بها الى الخالق كما حكى الله تعالى عن مشركي قريش وغيرهم وقد سمعت هذا من بعض علمائهم في الهند.

ماذا كان جواب موسى عليه السلام ﴿ قال إنكم قوم تجهلون ﴾ وصفهم بالجهل المطلق غير متعلق بشيء وهو على طريقتنا وطريقة ابن جرير والخصاف يشمل كل ما يصلح له من الجهل الذي هو فقد العلم والجهل الذي هو سفه النفس وطيش العقل، وأهمه المناسب للمقام جهل التوحيد وما يجب من افراد الرب

تعالى بالعبادة من غير واسطة ، ولا التقيد بمظهر من المظاهر يتوجه اليه معه ، ولا سيما مظهر الاصنام والتماثيل لبعض المخلوقات التي اغتر الجاهلون من قبل بنفعها أو الخوف من ضررها ، فالاول كالكواكب والنيل والعجل أبيس ، والثاني كالثعبان ـ ثم جهل ما أكرم الله تعالى به البشر بجعلهم أهلا لمعرفته ودعائه ومناجاته كفاحا بغير واسطة يقربهم اليه فانه اقرب اليهم من حبل الوريد ، وهو الاحد الصمد الذي يتوجه اليه ويقصد وحده ولذلك قال اماما الموحدين ، إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والتسليم (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما انا من المشركين)

وهذا النوع من الجهل هو الذي قال الله تعالى فيه (ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه) واسناد الجهل الى القوم ابلغ من اسناده الى ضمير المخاطبين لانه حكم على جماعتهم بما هو كالمتحقق المعروف من حالهم ، الذي هو علة لمقالهم ، يدخل فيه الذين سألوه ذلك منهم دخولا اوليا

وبعد أن ذكر لهم موسى [illegible] من جهلهم وسفاهة [illegible] بين لهم فساد ماطلبوه في نفسه [illegible] قبحه فقال باسلوب الاستئناف [illegible] ﴿ إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ﴾ التبار والتبر الهلاك والتتبير الاهلاك والتدمير يقال تبر الشيء من بابي تعب ونصر وتبره ـ بالتشديد : اهلكه ودمره . أي ان هؤلاء القوم الذين يعكفون على هذه الاصنام مقضي على ما هم فيه بالتبار ، بما سيظهر من التوحيد الحق في هذه الديار ، وباطل ما كانوا يعملون من الاصنام ، وعبادة غير الله ذي الجلال والاكرام ، أي هالك وزائل لابقاء له ، فانما بقاء الباطل في ترك الحق له أو بعده عنه ، وهذا يتضمن البشارة منه عليه السلام بزوال الوثنية من تلك الارض وكذلك كان

قال البغوي في تفسيره ان طلب بني اسرائيل الالهة لم يكن عن شك منهم بوحدانية الله تعالى وانما كان غرضهم إلها يعظمونه ويتقربون بتعظيمه الى الله تعالى وظنوا أن ذلك لايضر بالديانة وكان ذلك جهلهم كما آذنت به الآيات

وقال الرازي : اعلم أن من المستحيل أن يقول العاقل لموسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) وخالقا مدبرا لان الذي يحصل بجعل موسى وتدبيره لايمكن أن يكون خالقا للعالم ومدبرا له ، ومن شك في ذلك لم يكن كامل العقل ،

والأقرب أنهم طلبوا من موسى أن يعين لهم أصناماً وتماثيل يتقربون بعبادتها الى الله تعالى ، وهذا القول هو الذي حكاه الله تعالى عن عبدة الأوثان حيث قالوا (ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى) إذا عرفت هذا فلقائل أن يقول: لم كان هذا القول كفراً ؟ فنقول أجمع كل الأنبياء عليهم السلام على أن عبادة غير الله تعالى كفر سواء اعتقد في ذلك الغير كونه إلهاً للعالم أو اعتقدوا فيه أن عبادته تقربهم الى الله تعالى . لأن العبادة نهاية التعظيم ، ونهاية التعظيم لا تليق إلا بمن يصدر عنه نهاية الانعام والاكرام .

ثم قال بعد أن جزم بأن هذا القول صدر عن بعضهم لا كلهم وانه كان فيهم من يترفع عنه ما نصه : ثم إنه تعالى حكى عن موسى عليه السلام انه أجابهم فقال : (إنكم قوم تجهلون) وتقرير هذا الجهل ما ذكرنا من أن العبادة هي غاية التعظيم فلا تليق إلا بمن يصدر عنه غاية الانعام وهي خلق الجسم والحياة والشهوة والقدرة والعقل وخلق الأشياء المنتفع بها ، والقادر على هذه الأشياء ليس إلا الله تعالى فوجب أن لا تليق العبادة إلا به ، (فإن قالوا) اذا كان مرادهم بعبادة تلك الأصنام [illegible] في قبح هذه العبادة ؟ (قلنا) [illegible] وإنما جعلوها كالقبلة ، وذلك ينافي قولهم (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) اهـ

أقول من العجب أن يقع إمام النظار في علم العقائد على طريقة الفلسفة والكلام في مثل هذا الخطأ في أسئلته وأجوبته والتناقض في كلامه ، ومنشأ هذا الخطأ الغفلة عن مدلول ألفاظ القرآن في اللغة العربية واستعمالها الجائز ومعناها العرفية كلفظة الإله ، فان معناه في اللغة المعبود مطلقاً لا الخالق ولا المدبر لأمر العالم كله ولا بعضه ، ولم يكن أحد من العرب الذين سموا أصنامهم وغيرها من معبوداتهم آلهة يعتقد أن اللات أو العزى أو هبلا خلق شيئاً من العالم أو يدبر أمراً من أموره ، وإنما التدبير أمور الملك يدخل في معنى الرب تعالى .

والشواهد على هذا في القرآن كثيرة ناطقة بأنهم كانوا يعتقدون ويقولون أن خالق السموات والأرض ومدبر أمورها هو الله تعالى وإن آلهتهم ليس لها من أمر الخلق والتدبير شيء ، وإن شركهم لأجل التقرب اليه تعالى وابتغاء الشفاعة عنده بعبادة ما عبدوه ، ولذلك كانوا يقولون في طوافهم : لبيك لا شريك لك ،

الاشريكا هو لك ، تملكه وما ملك . ولذلك يحتج القرآن عليهم في مواضع بأن غير الخالق المدبر لايصح أن يكون الها يعبد مطلقا ، وهو معنى قول بعض المحققين انه يحتج بما يعترفون به من توحيد الربوبية ، على ما ينكرون من توحيد الالهية ، واذ كنا بينا هذا مرارا بالشواهد نكتفي بهذا التذكير هنا

ثم إن عبارة طلاب الاصنام من بني اسرائيل لم تنقل الينا بنصها في لغتهم فنبحث فيها أخطأ ام صواب وانما حكاها الله تعالى لنا بلغة كتابه فمناها صحيح قطعا فان الاله في هذه اللغة هو المعبود بالذات او بالواسطة وان كان مصنوعا وإنما جهلهم موسى بطلب عبادة احد مع الله لا بتسمية ماطلبوا منه صنعه إلها فانه هو سمى المعبود المصنوع إلها ايضا في قوله للسامري الذي حكاه الله عنه في سورة طه (وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه) الآية وانما كان عجل السامري من صنعه ـ وال جيم من عبدوا الاصنام من قبلهم ومن بعدهم كانت اصنامهم مصنوعة متخذة من هذه المخلوقات كالحجر والخشب والمعدن .

أنبي امام النظار وصاحب التفسير الكبير ماحكاه الله تعالى من تسمية قوم ابراهيم لاصنامهم بالآلهة ؟ أم الذي حكاه الله من حجته عليهم بقوله (قال أتعبدون ماتنحتون ، والله خلقكم وما تعملون) ؟ ومن محاجته إياهم بقوله (واتل عليهم نبأ ابراهيم ، اذ قال لابيه وقومه ماتعبدون ؟ قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ، قال هل يسمعونكم اذ تدعون ؟ أو ينفعونكم أو يضرون ؟ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون » (سورة الشعراء ٢٦ : ٦٩ ـ ٧٤)

وجملة القول أن هذا القول الذي قاله الرازي من اظهر هفواته الكثيرة بطلانا وسببه امتلاء دماغه عفا الله عنه بنظريات الكلام وجدل الاصطلاحات الحادثة وغفلته عن معنى الاله في أصل اللغة وعن آيات القرآن الكثيرة فيه ، ومنها قوله تعالى

﴿ قال أغير الله ابغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين ﴾ أي قال لهم موسى أأطلب لكم معبودا غير الله رب العالمين وخالق السموات والارض وكل شيء والحال انه فضلكم على العالمين بما جدد فيكم من التوحيد وهداية الدين ، على ملة ابراهيم وسنة المرسلين ، ؟ فاذا تبغون من عبادة غيره معه أو من دونه ؟ والاستفهام في الآية للانكار المشرب معنى التعجب ، وانما هو انكار ابتغاء اله غير الله المستحق وحده للعبادة لا انكار تسمية المعبود المصنوع الها . وأبغي ينصب مفعولين بنفسه كقوله تعالى (يبغونكم الفتنة)

بدأ موسى عليه السلام جوابه لقومه باثبات جهلهم بربهم وبأنفسهم، وثنى ببيان فساد ماطلبوه، وكونه عرضة للتبار والزوال ، وباطلا في نفسه على كل حال ، فلا الطالب على علم وعقل فيما طلب ، ولا المطلوب مما يصح أن يطلب ، (ضعف الطالب والمطلوب) فهذا ملخص معنى الآية السابقة

ثم انتقل في هذه الآية الى المطلوب منه جعل الاله لهم — وهو هو عليه السلام — والمطلوب لاجله هذا الجعل — وهو الله تعالى — وموسى على الحق والله تعالى هو الحق والذي يحق الحق ، وبين هذين الحقين وذينك الباطلين غاية المباينة فلذلك كان هذا جوابا مستقلا مباينا لما قبله بحيث لا ينبغي أن يعطف عليه عطفا ، ولا أن يعد معه عدا ، ولهذا أعاد فيه كلمة « قال » كما سنبينه وقد قدم فيه ذكر الاهم الافضل المقصود بالذات من هذين الحقين فقال (أغير الله) فغير الله أعم الالفاظ فهو يشمل اخس المخلوقات واعجزها عن النفع والضر كالاصنام وما وضعت لاجله ويشمل أفضلها وأكرمها كالملائكة والنبيين عليهم السلام لنبين أنه لا يوجد مخلوق يستحق العبادة مع الله تعالى وان علا قدره، وعظم أمره، وان كان [illegible] لا لأن المطلوب كالاصنام خسيس وباطل في نفسه ومعرضة للتبار فلا فائدة فيه لغيره — لا لهذا فقط — بل لان العبادة لا يصح أن تكون لغير الله تعالى البتة ، مهما يكن غيره مكرما عنده ، و مفضلا على كثير من خلقه ، على أن طلب عبادة الاخس، دليل على منتهى الخسة والجهل ، اذ لا شبهة توهم قدرته على الاثابة، والتقريب من الله عز وجل ، كشبهة من عبدوا الملائكة وبعض النبيين والصالحين، زاعمين انهم بكرامتهم عند الله يقربون اليه من قصر به إعانه وعمله ان يتقرب اليه بنفسه ، مع إصراره على خبثه ورجسه ، جاهلين ان الله تعالى امر المشركين والفاسقين ، ان يتوبوا اي يرجعوا اليه لا الى غيره من عباده المكرمين ، وان يدعوه وحده كدعائهم مخلصين له الدين ، وان يخصوه مثلهم بالعبادة والاستعانة وذلك ما فرضه علينا في صلاتنا بقوله (إياك نعبد وإياك نستعين)

وبعد ان قدم المقصود بالذات من الانكار وهو جعل غير الله الها ذكر من أرادوا ان يكون الواسطة في هذا الجعل ، الذي دعا اليه ذلك الجهل ، وهو نفسه عليه السلام بقوله (أبغيكم إلها) ليعلمهم أن طلب هذا الامر الإ

والتهديد الأشد والمنكر العظيم منه عليه السلام جهل بقيمته، وعمى رسالته ،
وبما رأوه من جهاده لفرعون وقومه ، من غير حول ولا قوة له في شخص
أخيه ولا في شخصه ، بل بالاتكال على حول الله وقوته ، ولولا إرادة إنكار
الأمرين معا : طلب آلهة مع الله ، وكونه يجهله عليه السلام — لقال : أغير
الله تبغون إلها . كقوله تعالى (أفغير دين الله يبغون)

ثم أيد هذا الإنكار بما يعرفونه من آيات الله تعالى فيهم ، وهو تفضيلهم
على أهل زمانهم ، فقد كان أرقى الناس في ذلك العصر فرعون وقومه بما أوتوا من
العلم والقوة والحضارة وسعة الملك والسيادة على بعض الشعوب ، وقد فضل الله بني
إسرائيل عليهم برسالة موسى وهارون منهم وبتجديد ملة إبراهيم فيهم ، وإيتائهما
من الآيات ما تقدم بيانه وأثره في السياق الذي قبل هذا ، وقيل إن المراد تفضيلهم
على العالمين مطلقا بكثرة الأنبياء والمرسلين منهم والأول أظهر ، لأنه عليه السلام
احتج عليهم بما عرفوه فيه ، ولا يريد تفضيلهم على القرون الأولى والأقوام سلهم
وعلى من سيأتي بعدهم [illegible] ، فقد سأل فرعون
موسى عن القرون الأولى [illegible] الآخرة بذلك أولى .
وأنت إذا قلت لمن [illegible] أعلم الناس أو [illegible] أرقى الملوك ، أو في
شعب أنه أرقى الشعوب — فإن أحداً لا يفهم من مثل هذا التفضيل من ذكر على غير
أهل زمانهم ، ولا سيما من يأتي بعدهم ، وأهل الحضارة في زماننا يعتقدون أن
الأجيال الآتية سيكونون خيراً من هذا الجيل ، وكان موسى يعلم أن هداية
الدين ستترقى إلى أن تكمل برسالة خاتم النبيين ، ولكنه أوتي هذا العلم بما أوحاه الله
إليه في التوراة ولم يكن نزل منها شيء عند طلب بني إسرائيل منه ما ذكر

والدليل على أن المراد بتفضيلهم على العالمين ما ذكرنا أنه عطف عليه أعظم
مظاهره الحديثة العهد ، قوله ﴿ وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء
العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾
قرأ ابن عامر (وإذ أنجاكم) على أنه من مقول موسى عليه السلام قطعا والباقون
(أنجيناكم) وذكروا فيه احتمالين (أحدهما) وهو الأظهر والمتبادر أن يكون
مستأنفا من الله تعالى متمما لكلام موسى ومبينا المراد منه على طريقة الالتفات
عن الحكاية عنه ، ولهذا الالتفات نظائر في التنزيل وفي كلام بلغاء العرب ، ومنه
قوله تعالى في قصة موسى من سورة طه (الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك

لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى) الخ
فأول الآية من قول موسى في جواب فرعون وقوله «فأخرجنا» التفات عن
الحكاية وانتقال إلى كلامه تعالى عن نفسه مخاطبا به من أنزل إليهم هذا الوحي من
خلقه، تنبيها لهم بتلوين الكلام، وبما في عظمة الرب لهم كما من التأثير
الخاص بالربوبية هو المسدي لهذا الانعام. واقتصر بعض المفسرين على أن المخاطب
بهذه القراءة من كان من بني إسرائيل في زمن النبي (ص) فأفادت قراءة ابن عامر
أن موسى قالها لقومه في ذلك الوقت، وأفادت قراءة الآخرين أن محمداً
(صلى الله عليهما وسلم) ذكر بها قوم موسى في زمنه كما تقدم في سورة البقرة
وهذه فائدة الجمع بين القراءتين وهي من أسرار إيجاز القرآن

(الثاني) أن قراءة الالتفات من جملة الحكاية عن موسى (ع . م) أسند
الانجاء فيها إلى الله تعالى مع حذف القول لعلمه من القرينة وبدونها أو إلى نفسه
وحده أو مع أخيه للإشارة إلى أن حصول هذا الانجاء بسبب رسالتهما وتأييده
تعالى لهما بتلك الآيات

والمعنى وإذ كرروا ... الله تعالى ... بارساله تعالى إيانا
لأجل ذلك وعنا أيها ... من آل فرعون الذين كانوا يسومونكم سوء
العذاب بجعلكم عبيدا مسخرين لخدمتهم كالبهائم فلا يعدونكم منهم، وخص الذكر من
هذا العذاب شر أنواعه بقوله: يقتلون ما يولد لكم من الذكور — ويستبقون
نساءكم بترك الاناث لكم لتزدادوا ضعفا بكثرتهن — وهذا بدل بعض من كل،
وفي ذلكم العذاب والانجاء منه بفضل الرب الواحد عليكم وتفضيله إياكم على أولئك
العالمين في الأرض وعلى غيرهم كسكان البلاد المقدسة التي سترثونها بلاء عظيم أي
اختبار لكم من ربكم المتفرد بتربيتكم وتدبير أموركم ليس وراءه بلاء واختبار، فأنتم
أجدر الناس بالاعتبار والاستفادة من أحداث الزمان ممن يعطى النعمة بعد النقمة،
وأحق الناس بمعرفة وحدانيته تعالى وإخلاص العبادة له من يرى من آياته
في نفسه وفي الآفاق ما يوقن به أنه لا يمكن أن يكون لغيره شركة فيه، أي فكيف
تطلبون بعد هذا كله ممن رأيتم هذه الآيات على يده وليس له فيها أقل تأثير
أن يجعل لكم إلها من أخس المخلوقات تجعلونه واسطة بينكم وبين الله تعالى
وهو قد فضلكم عليها وعلى عابديها ومن هم أرقى منهم؟

وقد غفل الشهاب الخفاجي عن كون تفضيلهم على العالمين لم يكن إلا بدعوة

التوحيد المؤيدة بتلك الآيات ، فزعم أن الاحتجاج به من خطابي لا برهان عقلي ، واعتذر عن عدم احتجاج موسى ببرهان التمانع بأنهم من العوام ، وهو لا ينكر أن تلك المعجزات من البراهين القطعية ، وان اختلف المتكلمون في دلالتها هل هي عقلية أو وضعية ... وغفل أيضا عن كون برهان التمانع انما يحتج به على المشركين في الربوبية دون العبادة فقط . وقد نمقبه في هذا الالوسي فقال : وفي اقامة برهان التمانع على الوثنية القائلين (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) والمجيبين اذا سئلوا : من خلق السموات والارض؟ بخلقهن الله ، خفاء ، والظاهر اقامته على الثنوية كما لا يخفى اه ووجهه أن الثنوية يقولون بوجود ربين الهين اشتركا في خلق العالم وتدبير أمره أحدهما رب النور والخير ، والثاني رب الظلمة والشر ، ويحتج عليهم بأنه لو كان في العالم خالقان مدبران أو اكثر لامتنع ان يوجد فيه نظام يصلح به امره اذا فرض جواز وجوده ، لان تعدد المدبرين لامر الشيء كتعدد الخالقين يقتضي تعدد العلم والارادة والقدرة التي يكون بها التدبير ، أو الخلق والتقدير ، وتعددها يقتضي التغاير والاختلاف فيها والا فلا تعدد وهذا الاختلاف يقتضي التعارض في متعلقاتها بأن يتعلق بعضها بضد ما يتعلق به الآخر من ضد ونقيض ، وأي فساد في النظام وموجب للاختلال أشد من هذا؟ واذا قلنا اذا جاز وجوده لان الاشارة الى البرهان في قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) قد بني على أن السموات والارض موجودتان والنظام فيهما مشاهد بالابصار والبصائر ، وكما يمتنع استقامة النظام وصلاح التدبير الصادر عن علوم وارادات مختلفة متعارضة يمتنع صدور الكون نفسه عنها بالاولى

وفي الآية التي قبل الاخيرة من نكت البلاغة انه أعيد لفظ « قال » في أولها لما أشرنا اليه من ان هذا جواب مستقل لا يشترك مع ما قبله فيعطف عليه ، ولا هو معه من قبيل سرد الصفات والاعداد التي يطلب فيها الفصل ، اي كقوله تعالى (التائبون العابدون السائحون الراكعون الساجدون) الخ وقولهم : الاول كذا ـ الثاني كذا الخ فلم يبق الا اعادة « قال » لامتناع الفصل والوصل كليهما بدونها ، وأن تكون « قال » مفصولة لا معطوفة لافادة هذا الاستقلال في الجواب ، اذ لا فرق بين عطف القول وعطف الجملة الاستفهامية بدونه في ان كلا منهما يقتضي الاشتراك بين المعطوف والمعطوف عليه كما

حققه عبد القاهر في دلائل الاعجاز

ولما كان كل من له ذوق في أساليب هذه اللغة يشعر بأن البدء بهذا الاستفهام هنا بدون « قال » غير مستطب ولا مستساغ وان لم يعرف سبب هذا ونكتته - بحث طلاب نكت البلاغة في التفسير عن نكتة هذه الاعادة فلمح بعضهم ماقررناه ولم يتبينه واضحا ليبينه : قال الالوسي : قيل هذا هو الجواب وما قبله تمهيد له ولعله لذلك اعيد لفظ قال اه فنقل هذه النكتة بصيغة التمريض « قيل » اذ كانت اخفى عنده منها عند صاحبها الذي قال : ولعله . . . فلم يجزم - ثم نقل عن أبي السعود قوله في هذا الجواب : هو شروع في بيان شؤون الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة به سبحانه بعد بيان أن ماطلبوا عبادته مما لايمكن طلبه اصلا لكونه هالكا باطلا اصلا ، ولذلك وسط بينهما « قال » مع كون كل منهما كلام موسى عليه السلام اه : ثم نقل تعليلا آخر للشهاب وهو : اعيد لفظ قال مع اتحاد مابين القائلين (؟) لان هذا دليل خطابي بتفضيلهم على [illegible] لانهم عوام انتهى

وأقول إن العبارة الأولى [illegible] من هذين القولين المعترضين على أنهما مبنيان على [illegible] أن الآية في بيان شؤون الله الخ والثاني انها دليل خطابي لا برهاني لما كان هذا ولاذاك مقتضيا لاعادة فعل القول لذاته وانما العبرة بعروضه وامتناع كل من فصله بدون القول ووصله بالعطف على ما قبله كما علم مما بيناه والحمد لملهم الصواب ، وقد بينا بطلان قول الشهاب آنفا ، وضعف قول أبي السعود لايحتاج الى بيان .

فتاوى المنار

(الوصية المزورة ، باسم المدينة المنورة)

(س ٢١) من صاحب الامضاء في (ميت غمر)

سيدي الاستاذ الجليل محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار حرسه الله

تحية الله وسلامه اليك وبعد :

الدين الاسلامي الذي جاء فاصلا بين الحق والباطل ، وعلم الناس ان هنالك إلها لا يطلع أحدا على غيبه ، وانه لا يظلم مثقال ذرة ، الدين الاسلامي الذي أنقذ الناس من جاهليتها الاولى ، وأبطل الخرافات والاعتقادات الباطلة ، دين هدى لمن يريد ان يهتدي ، دين توحيد لمن يريد ان يوحد ربا واحداً ، دين وجهة واحدة لمن يريد ان يولي وجهه شطره . إلا أن الناس الذين يدينون به وينتسبون اليه لم يحافظوا عليه ولم يحترموا تعاليمه

وبذلك حقت علينا كلمة العذاب لان أكثر المسلمين لا يعقلون

سيدي : أكتب اليك هذا وأنا في ذهول مستمر وحزن دائم لما وصلت اليه حالة المسلمين ، حتى أصبحت حياتنا الدينية والدنيوية تشبه حياة الكفار من كل الوجوه ، وان المنشور المرسل طي هذا الكتاب لأكبر دليل على صدق هذا القول حتى لا يقال بأننا نكتب على غير حق ، فهل يصح بفضيلة الاستاذ لأمة دينها الاسلام ، وكتابها [illegible] أصدق على أبواب بيوت العبادة ؟ فباسم الاسلام [illegible] على خدمته والمحافظة عليه ، وباسم العلم الذي أخذت منه قسطاً وافراً ، أرجو منك علينا من أفضل مباحثك الدينية القيمة ، التي كثيرا ما هدت ضالا وعلمت جاهلا ، ان تبين لنا صحة هذا المنشور وأصل مصدره والغاية التي ترمي اليها نشره ، وذلك يكون بنشر الرد بمجريدة الاهرام حتى يطلع الناس عليها ، ويقفوا على حقيقتها ، ولك من الله حسن الجزاء ، ومن الناس أجمل الثناء ، وانا لذلك لمنتظرون ، والله المسئول الذي بيده المصير أن يتولاك برعايته ، واقبل احترام واخلاص مسلم محب يحبك ودينك .

ميت غمر في ٢٧ مارس سنة ١٩٢٤   الحاج زكي محمد عبد الله
معاون سلخانة ميت غمر وأمين مخزن البلدية

وهذا نص الوصية المزورة المرسلة مع هذا السؤال

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين على القوم الكافرين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه وسلم

(هذه وصية من المدينة المنورة)

عن الشيخ أحمد خادم حرم النبي الشريف قال : كنت ساهرا ليلة الجمعة أتلو القرآن وبعد تلاوته قرأت أسماء الله الحسنى فلما فرغت من ذلك تهيأت للنوم فأخذتني سنة من النوم فرأيت الطلعة البهية رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أظهر الآيات القرآنية والاحكام الشرعية رحمة للعالمين سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال لي ياشيخ أحمد قلت لبيك يارسول الله ويا أكرم خلق الله. فقال لي أنا خجلان من أعمال الناس القبيحة ولا أقدر أن أقابل ربي ولا الملائكة، ووقف على قدم لأنه مات من الجمعة الى الجمعة مائة وستون الفا على غير الاسلام وواحد مات على الاسلام فنعوذ بالله من شر ذلك وصار غنيهم لا يرحم فقيرهم وأصبح كل شخص لا يسأل إلا عن نفسه وقد ارتكبوا المعاصي والكبائر والزنا وأنقصوا المكيال والميزان وكثرت المعاصي وأكلوا الربا وشربوا الخمور وتركوا الصلاة ومنعوا الزكاة فهذه الوصية لأجل أن [illegible] شدة التعب من أجلهم فاخبرهم ياشيخ أحمد قبل أن ينزل بهم العذاب من ربهم العزيز الجبار وتغلق أبواب الرحمة ، فنعوذ بالله من شر هذا القرن وأهله لانهم عن طريق الحق ضالون ، وبالله تعالى يشركون، وبالدين الحنيف ينكرون، وبأديانهم الباطلة يعجدون، وان الساعة قد قربت وفي سنة ١٣٤٠ هجرية تخرج النساء من غير إذن أزواجهن وفي سنة ١٣٥٠ هجرية تظهر علامة في السماء مثل بيض الدجاج وهي علامة القيامة وفي سنة ١٣٧٠ هجرية تغيب الشمس ثلاثة أيام بلياليها و بعد ذلك تشرق من المغرب وتغلق أبواب التوبة وفي سنة ١٣٨٠ هجرية يرفع القرآن العظيم من صدور الرجال، و يظهر المسيح الدجال، وتتفاتن النساء والرجال، و يعود الاسلام كما كان خرابا . فأخبرهم ياشيخ احمد بهذه الوصية وعرفهم بأنها منقولة « بقلم القدرة من اللوح المحفوظ »

ومن يكتبها و يرسلها من بلد الى بلد أو من محل الى محل كتب الله له قصر في الجنة ومن لايكتبها ولا يرسلها حرمت عليه شفاعتي يوم القيامة، ومن لا يعرف

أن يكتبها بأس كاتبا بكتابتها بثلاثة دراهم، ومن كتبها وكان فقيرا أغناه الله، او كان مديونا قضى الله دينه عنه، أو عليه ذنب غفر الله له ولوالديه ببركة هذه الوصية، ومن يكتمها من عباد الله اسود وجهه في الدنيا والآخرة

وقال الشيخ احمد والله العظيم ثلاثا ان هذه حقيقة وان كنت كاذبا أخرج من الدنيا على غير الاسلام، ومن يصدق بها ينجو من عذاب النار ومن كذب بها كفر وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم (مؤمن مصدق)

(جواب المنار) جاءنا هذا السؤال فقدمنا عليه في النشر والجواب أسئلة أخرى جاءت قبله ، ثم أطلعنا قلم التحرير في جريدة الاهرام على كتاب يقترح فيه مرسله نشر هذه الوصية في الاهرام ومطالبة العلماء ببيان ما يجب في شأنها — فتذكرنا أننا قد سئلنا عنها هذه الوصية

هذه الوصية فرية ملفقة سبقها أمثال لها كثيرة وكلها معزوة الى اسم الشيخ احمد خادم الحرم النبوي الشريف أو خادم الحجرة النبوية الطاهرة ، وأذكر أني رأيت أول وصية منها بين اوراق والدي من نحو اربعين سنة أو أكثر فصدقتها واهتممت بأمرها وكان ذلك قبل طلبي للعلم في اول العهد بالقراءة .

ومنذ عشرين سنة أرسل الي امين افندي السرجاني الصائغ المشهور بمصر وصية أخرى منها وسألني عن رأيي فيها فنشرتها في باب الفتاوى من المجلد السابع (غرة شعبان سنة ١٣٢٢) وأجبت عنها بما سأعيده هنا ، ثم ارسلت الي نسخة أخرى من السويس بعد سنة ونصف من نشر تلك الفتوى فاعتذرت عن نشرها في فتاوى (ج ٣ م ٩ الذي نشر في ربيع الاول سنة ١٣٢٤)

والظاهر ان الذين يلفقون هذه الوصايا من الجهال يظنون أنه ربما يكون لنشرها تأثير عظيم في المسلمين ، وأنهم يقصدون النفع ويستحلون في التوصل اليه تعمد الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم كما كان يفعل بعض الوضاعين لاحاديث الترغيب والترهيب ، مع علم أولئك بقوله (ص) « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » فانه روي متواترا في الكتب الستة وغيرها من المسانيد والمعاجم عن عشرات من الصحابة ، ثم يلبسها بعض العوام حيث لا مطابع

ويطبعونها في مثل هذه البلاد لتصديقهم بما في آخرها من الوعد والوعيد ، ومن العجب ان الذين يجددون تلفيق الوصية لا يتركون اسم الشيخ احمد كأنه خالد في الحرم النبوي الشريف وكأنه أعطي خدمة الحجرة الطاهرة خالدة تالدة لا تؤثر فيها احداث الزمان ولا مرور السنين ولا تغير الحكومات . ويلوح في ذاكرتي أن بعض زوار المدينة سأل عن الشيخ أحمد هذا منذ سنين كثيرة فلم يجد في الحرم النبوي من يعرفه

ومن دلائل كذب هذه الوصايا أسلوبها العامي على ان الوصية الجديدة دون ما سبقها في اللحن والاصطلاحات العامية (ومنها) وهو أقواها زعم مختلقها ان النبي (ص) صار محجوبا عن ربه وعن الملائكة بسبب ذنوب الناس . وهذه أعظم العقوبات التي توعد الله تعالى بها الفجار الكفار بقوله (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فجميع ما نعاه على المسلمين من المعاصي هو دون الكذب على الرسول [illegible] والكذب على الله بزعمه انه عاقب أفضل رسله بذنب غيره كما عاقب الكفار بل الاخير مغفور له بنص القرآن، على انه لا يعاقب أحد من الخلق بذنب غيره بالنص أيضا ومن جهله تعبيره عن التجلي الرباني بالمقابلة كما يعبر أهل هذا العصر عن لقاء بعض الناس لبعض .

وقوله: وفي سنة ١٣٤٠ تخرج النساء من غير اذن أزواجهن يدل على ان الوصية لفقت قبل هذا التاريخ ولما وصلنا اليه لم نر شيئا لم يكن قبله فقد كان كثير من النساء يخرجن قبله بدون إذن أزواجهن ولم يخرج فيه جميعهن ولا فيما بعده فنقول انه مصداق الجملة. وما ذكر قبله من المعاصي فهو قديم أيضا ولكنه يزداد بلا شك كما انه قد تجدد من علم السنة ومحاربة البدع والدعوة الى الاصلاح الديني والتوفيق بينه وبين الحضارة والقوة ما لم يكن. وقاعدة هؤلاء المصلحين ان الله تعالى قد أكمل دينه فلا نزيد في الامور الدينية المحضة شيئا لم يرد في الكتاب او السنة الثابتة او اجماع الصدر الاول ، وأن اسعد السعداء من يعبد الله تعالى كما عبدوه فعلا وتركا حسب الامر والنهي وأن في الكتاب والسنة وهدي السلف الاول غنى عن كل ما عداها في النصح والارشاد ، والزجر عن الفساد ، فمن كان مخلصا في نصح المسلمين ، فليعضد

هؤلاء المصلحين، فهو خير له من اختراع الرؤى الباطلة، والوصايا السخيفة المزورة التي صار يقل في العوام من يصدقها، وجميع الخواص يعلمون مزوروها . وانا نذكر هنا ما اجبنا به السائل عن هذه سنة ١٣٢٢ إتماما للفائدة - وكانت تلك في منتهى السخف لفظا ومعنى - وهذا نصه :

انا نتذكر أننا رأينا مثل هذه الوصية منذ كنا نتعلم الخط والتهجي الى الآن مرارا كثيرة وكلها معزوة كهذه الى رجل اسمه الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية . والوصية مكذوبة قطعا لايختلف في ذلك أحد شم رائحة العلم والدين، وانما يصدقها البلهاء من العوام الاميين ، ولا شك ان الواضع لها من العوام الذين لم يتعلموا اللغة العربية ولذلك وضعها بعبارة عامية سخيفة لا حاجة الى بيان أغلاطها بالتفصيل . فهذا الاحمق المفتري يخاطب هذا الكلام السخيف الى أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء صلى الله عليه وآله وسلم ويزعم أنه وجده بجانب الحجرة النبوية مكتوبة بخط أخضر [illegible] الذي كتبه ثم يتجرأ بعد هذا على تكفير من أنكره وفيه للمفسدة أعظم من جميع المعاصي التي يقول أنها فشت في الامة وهي الكذب على الرسول عليه الصلاة والسلام وتكفير علماء أمته والعارفين بدينه فان كل واحد منهم يكذب واضع هذه الوصية بها وقد قال المحدثون ان قوله (ص) : « من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» قد نقل بالتواتر ولاشك ان واضع هذه الوصية متعمد لكذبها ولا ندري أهناك رجل يسمى الشيخ أحمد أم لا

وأما تهاون المسلمين في دينهم وتركهم الفرائض والسنن وانهماكهم في المعاصي فهو مشاهد وآثار ذلك فيهم مشاهدة فقد صاروا وراء جميع الامم بعد ان كانوا بدينهم فوق جميع الامم « ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون » الا ان يتوبوا ، ولا حاجة لمن يريد نصيحتهم بالكذب على الرسول ووضع الرؤى التي لا يجب على من رآها ان يعتمد عليها شرعا بل لا يجوز له ذلك الا اذا كان ما دلّ موافقا للشرع فالكتاب والسنة الثابتة بين أيدينا وهما مملوآن بالعظات والعبر، والآيات والنذر . اه

خطاب عام للمسلمين

في شأن الحجاز

(٤)

مفاسد الطاغوت بعد ادعائه للخلافة

ذكرنا في الفصول السابقة بعض الحقائق من سلب الملك حسين أموال أهل الحجاز والحجاج والقتل في الحرم [illegible] من بين الحرمين التي جاءتنا من أخبار موسم الحج (سنة [illegible]) وقلنا إنه قد صرح في أثناء السنة الماضية قبل موسم [illegible] انتحاله لقب الخلافة فصار خطره أشد، والسعي لتلافيه أوجب، وذلك أن الرجل كلما كبرت مطامعه وتنبج وانتفخ في مظاهره يزداد احتياجه الى النقود ولا مستغل له الا الحجاج وأهل الحرمين، لان الانكليز منعوه ما كانوا يعطونه، ولا بد من مورد غزير يقوم بنفقات الجمع بين عظمة الملك وفخفخته، واخضاع امراء العرب المنكرين لامبراطوريته وخلافته، ونشر دعاية الخلافة ومقاومة خصومها في الشرق والغرب الى ان تستقر وتكون مستغلا جديداً وما هي المستقرة او يهلك العرب والمسلمون، فخصومه في الملك والسلطان امراء جزيرة العرب المستقلون، وكل واحد منهم يفوقه قوة وادارة وعدلا، وخصومه في الخلافة الشعوب الاسلامية ماعدا بعض أهل فلسطين وسورية والعراق من المنتفعين بماله، والراجين لنواله، أو المخدوعين بدعايته ودعاية رجاله، أو المتلذذين بنكاية فرنسة،

والخائفين من شماتة جيرانهم من النصارى الذين عادوا ولده فيصل في تلك الايام ، التي كان المسلمون فيها سكارى بخمرة الاوهام ، أو عائشين في غمرة من اضغاث الاحلام ، على ان هؤلاء الانصار يقلون عاما بعد عام ، لان جناياته ظهرت للخواص والعوام ، وطفقت تتبرأ منه الجماعات والاحزاب كالافراد .

كان هذا الرجل المفتون بالالقاب الضخمة والمظاهر الفخمة أميراً للحجاز وكان بدو البلاد كحضرها يخضعون له ، ويخشون بأسه ، ويقبلون حكمه لعلمهم بأن وراءه دولة يرجى برها ، ويخشى ضرها ، وقد صلي نار الحرب العامة باسم العرب وهو لم يعمل ولا يعمل ولن يعمل إلا لنفسه وولده ولم يكن الا متجراً بالعرب وبلاد العرب ، بل بدين الاسلام أيضا كما ظهر ، واتضح لغير العميان المنكوسين من البشر ، استبد بالأمر وحده على جهله وعجزه ، فأضاع الفرصة التي سنحت لاستقلال العرب واتساع ملكه ، ولم ينل شيئا من مطامعه الواسعة لنفسه ؛ بل لم يبق له من امارة الحجاز الا هذه المدن والقرى المعدودة على الاصابع وأما القبائل القوية فليس له عليها من سلطان

ولكن افتتانه بعظمة الملك وفخامة الالقاب وغروره بالوعود الشيطانية ، والاماني فيما يسميه « الحسيات النجيبة للعظمة البريطانية » جرأه على تسمية نفسه ملك العرب وصاحب البلاد العربية ، وصار يمتع نفسه بما تصبو اليه من عظمة الملك الصورية ، فاحدث اوسمة ورتبا متعددة تصدر جريدته « القبلة » آونة بعد آونة وفي صدرها لما عنوان (توجيهات) الذي كان يمهد في الجرائد العثمانية الحميدية ، وتحته : وجه

وسام النهضة أو وسام الاستقلال العلي الشأن الى فلان ووجه ... الى ...
وإما نبأ من ابناء القصر العالي ومن تشرف بتقبيل اعتابه حتى ان أولاده يقبلون فيما يكتبون اليه الاعتاب ، ويعبر أحدهم عن نفسه بخادم تراب الاقدام (!!) ولم يدع سيئة من سيئات عبدالحميد الا وتقلدها حتى اذكاء الجواسيس على رجال حكومته وأولاده ، دع غيرهم من الناس الذين قد يعدهم اعداء له لانه لهم عدو مبين . وقد حمله ادعاؤه هذا الملك وافتتانه به الى ما تقدم بيانه من مصارحة جميع امراء جزيرة العرب بالعداوة وانذارهم اسقاط إماراتهم وضمها الى ملك البلاد العربية كلها

كان هذا بعض شأنه ، على ضعفه وعجزه ، وخيبة آماله في « العظمة البريطانية وحسبانه النجمة [illegible] الآن [illegible] ولا يعوز الدليل من قال: انه لا يقنط من رحمتها ، ولا ييأس من روحها [illegible] تبرأ من رحمة الله ان كان يقبل بقرار الدول كلها أضعاف ماتعطيه هي ان لم يكن بواسطتها ، - فماذا ينتظر من غروره وطمعه وعنجهيته وكبريائه وقد ادعى الخلافة العربية ، وطفق ينشر في جريدته الكاذبة الخاطئة دعاوى مبايعة جميع الشعوب الاسلامية « لصاحب الجلالة الهاشمية ، امير المؤمنين ، وخليفة رسول العالمين ، المنقذ الاعظم » كقولها (مبايعة أهل مصر - مبايعة بلاد جاوه . مبايعة بلاد السودان) الخ ?

ألا انه لا ينتظر منه بعدهذا الا الاسراف في الظلم والالحاد في الحرمين الشريفين ، وتثقيل الغرامات على الحجاج ، وبث الفساد السياسي في سائر بلاد العرب ، وتمكين النفوذ الاجنبي فيها ، ومقاومة الاصلاح ونشر الخرافات في العالم الاسلامي كله

وقد أخرنا اتمام هذا الخطاب في العام الماضي لنقف على ما يكون له من التأثير في عمله بعد لقاء أنصاره وأصحاب الآمال فيه بزيارته لشرق الاردن ثم بعد تنحله لمنصب الخلافة ، حتى تكون النتيجة من خطابنا هذا بعد استيفاء المقدمات ، فجاءتنا أخبار موسم الحج الاخير (سنة ١٣٤٢) بشر مما نشرنا خلاصته في أوائل هذا الخطاب من الاصرار على ما تقدم او الزيادة عليه ، وشرها قطعه لماء عين زبيدة في يوم عرفة لاجل أن يبيع اعوانه الماء المدخر بأغلى الأثمان واتفق ان كان حر الصيف شديداً حتى في البلاد المتدلة ، وكان موقف عرفة كموقف الحساب يوم القيامة ، شغلت شدة الحر وشدة الظمأ أكثر الناس عن أداء العبادة براحة وحضور قلب ، ومات ألوف من الناس في عرفات وفي الطريق بينها وبين مزدلفة ومنى ، أخبرنا الكثيرون من الحجاج بذلك ونشر بعضه في الجرائد وقالوا ان قربة الماء قد صارت تباع بعشرين قرشا وثلاثين قرشا في الغالب واشتراها بعض الاغنياء باكثر من ذلك

ومن الشواهد على الافساد السياسي ما نقله الجرائد من ارسال دعاته الى عدن وبلاد الشافعية من تهامة اليمن ليأخذوا له البيعة ويخدعوا الناس بأن خليفة المسلمين وملك العرب سيجعل امرهم بأيديهم وحكامهم من أهل مذهبهم ، وادارتهم كما يرغبون ويقترحون ، وهذا موافق لتفسيره الرسمي للوحدة العربية الذي بيناه في الوثيقة الخامسة المتعلقة بالجناية الثانية من هذا الخطاب

وقد تثبتنا في نشر هذه المفسدة فكتبنا الى اليمن بالسؤال عن ذلك فجاءنا نبأ رسمي لاشك فيه بتأييد الخبر

ومن الشواهد على مقاومة الاصلاح ونشر الخرافات وتحكم الجهل في العلم والدين ما قرأناه في انباء الحجاز من جريدة المقتبس الدمشقية من تصدي الخليفة (خليفة الشيطان) لاستخدام مجلس شورى الخلافة الذي استحدثه لمنع انتشار الكتب والرسائل التي اشتهرت في بلاد جاوه من قبل الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا، كما منع من قبل ذلك كتب شيخي الاسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرها من الكتب القديمة التي لا توافق هواه، ولا تقول برأيه أو فهمه اذ هو عامي لا رأي له ولا فهم في علم ولا دين

ثم أخبرنا أحد علماء الازهر الذين حجوا في الموسم الاخير انه علم من الثقات في الحجاز ان حسينا كلف بعض علماء حكومته ومجلس شورى خلافته كتابة فتوى يطعنون فيها بالشيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضا صاحب المنار [illegible] الجواب عنها فكتبوا له ما لا [illegible] تعالى. واتقوا شره بأن كتبوا انهم لم يطلعوا على شيء من كتب الشيخين المذكورين مشتملة على ماذكر في الاستفتاء. هذا ملخص الخبر بالمعنى

علاوة

﴿ من روايات الحجاج في ظلم حسين، في الحرمين الشريفين ﴾

عهدنا الى أحد علماء الازهر الذين ذهبوا الى الحجاز في الموسم الاخير أن يستقصي لنا أعمال هذا الطاغوت وذكرنا له بعض الثقات الذين يعرفون هذه الحقائق ولا يبخلون بها على من يثقون بأمانته، ويأمنون شر سعايته، فجاءنا بمسائل كثيرة. ثم جاءنا بيان آخر من بعض سكان المدينة المنورة الذين حضروا موسم الحج الاخير أيضا — فنلخص البيانين لاطلاع العالم الاسلامي عليهما،

ودعوته الى القيام بما يجب عليه من العمل لمهد الاسلام وحرم الله تعالى وحرم رسوله عليه الصلاة والسلام ، وخدمة التاريخ الخاص والعام

ملخص ما جاء به العالم الازهري من مكة

(١) صدرت أوامر الملك حسين بمنع مشتري الاعشاب قبل أخذ مايلزم لحيواناته فتجاسر احد التكارنة واشترى فقبض عليه وسجنه عاماً واحداً وقال انه سجنه بمقتضى الوجه الشرعي من الكتاب والسنة فاستفتى ابو المسجون المفتين الاربعة بمكة فافتوه انه لا يستحق الحبس شرعا فاطلع الملك عليها فغضب وقال انه يخالف الشرع ولا يطلقه من الحبس وصار يكرر قوله: اشهد أني اخالف الشرع في أحكامي

(٢) في شعبان سنة ١٣٤٢ اشتكت فتاة امرأة من موالي الشناقطة أحد موالي العريان بانه اغتصبها بستان منهدم بالقرب في طريق الرصفة وهو حمى الملك الذي لا يدخله سوى جماله وأي حيوان يدخله يصادر — وقد وصفت الفتاة المتهم فقبض الملك على غيره من المغضوب عليهم فقطع يده ورجله من خلاف من غير أن تراه الفتاة وتشهد انه هو الجاني وهذا حكم الشرع

(٣) جعل رسما على كل جمل وحمار وبغل يجيء من جدة الى مكة نصف جنيه انكليزي وريالين مجيدين ومن مكة الى عرفات نصف جنيه انكليزي ومن مكة الى المدينة ثلاثة جنيهات جنيها برسم الحكومة والخزينة الخاصة

(٤) لاجل جمع الاعانات من الحجاج وضع في مجاري عين زبيدة أكياسا من الرمل فوق عرفة بقليل وذلك قبل يوم عرفة فلم يأت وقت الظهر حتى نضب الماء من حياض عرفة ونشأ عن ذلك عطش شديد جداً مات بسببه خلق كثير من الفقراء ولما ظهر سره امتنع عن جمع

الاعانة وعلى ذلك أدلة (منها) ان الماء كان فوق عرفة طافيا في الآبار على وجه الارض حتى كان من أخبر بذلك من العرب يملأ بيديه من غير دلو ولا رشاء (ومنها) اننا عند نزولنا الى منى وجدنا الماء فيها كثيرا وما كان غلاء ماء منى الا من توهم الناس ان الماء مقطوع مما جرى لهم بعرفة . ولكن الذي كان يشاهد الآبار بنفسه وهي تجيش بالماء الغزير يعلم الحقيقة (ومنها) انه قبل خروج الناس الى عرفة بأيام طلب من مطوفي الجاوه والهنود جمع حجاجهم له في الحرم ليكلمهم في أمر مهم . ثم قال للمطوفين تدرون هذا الامر ؟ فقالوا لا . فقال لاجل جمع إعانة لتصليح عين زبيدة

(٥) طريقته في جمع الاعانة للعين أن ما زاد على عشرين جنيها يوضع في صندوقه الخاص ... صندوق العين واذا احتاجت العين للتعمير لا يعطيها شيئا واذا ... من صندوقه ... يغضب ، وحصل ذلك مرة فغضب وحاسب أمين الصندوق وعطل أعمال لجنة العين أحد عشر شهرا . وبعض الحجاج لجهل أو غفلة أو حب رياء وظهور يدفعون له مباشرة ما يتبرعون به فيكون خالصا له والمعروف منه لا يقل عن ٥٠٠ جنيه

(٦) عند مبايعته بالخلافة في عمان وصلت منه برقية لقاضي القضاة بمكة بأنه اذا امتنع أحد عن البيعة يقتل رميا بالرصاص

(٧) لما وصلت الكسوة من مصر أغرى بعضهم ان يحضروا له بعض المصريين ليقولوا له انه بلغهم انه يريد رد الكسوة وانه سيكسو الكعبة من عنده كما كساها في العام الماضي وان يسترحموا جلالته ويرجوه عدم ردها ويلحوا عليه في ذلك فيقبل رجاءهم . وأظهر للناس انه في غنى عن كسوة مصر ولولا الحاح المصريين لم يقبلها . والكسوة التي جاء بها

في العام الماضي ثمنها ٣٠٠٠ جنيه وهي من الصوف الغيلان وكانت عند مادخلنا مكة باهتة وشكلها في غاية الكآبة

(٨) كان حول المسجد الحرام ميضأة من أوقاف سلاطين مصر والأتراك فهدموها وجعلوا محلها دكاكين، فلذلك صار الناس يبولون في الشوارع ويتوضؤن على أبواب المسجد الحرام ورأيت بعيني ناسا كثيرا يفعلون ذلك

(٩) أمرا أن لا يتجاوز الحمل ٢٠ أقة والجمل يستطيع حمل ٧٠ فأكثر فصار أكثر الحجاج يضطر لترك كثير من حاجاته في جدة، وهو يدعي انه فعل ذلك شفقة على الجمال، والحق انه أراد كثرتها لاجل المال . ومن جراء ذلك تعطل في العام الماضي عدد غير قليل عن الحج وظلوا يوم عرفة وهم بجدة ينتظرون عودة الجمال التي ذهبت بهم الاحمال الخفيفة

(١٠) إنه يأخذ من اصحاب الخيام المئة الاجرة بما يحتاج اليه لاكرام ضيوف منصبي الملك والخلافة بغير اجرة (وذكر الكاتب حكاية طويلة سمعها من رجل كردي فقير كلفه الملك الخليفة الاتيان بخمس خيام فاعتذر بفقره وغربته فوضعه في سجنه الذي سماه هذا المسكين جهنم ووصف مافيه من السلاسل والاغلال ...ثم افتداه بعض الموسرين باستئجار الخيام المطلوبة له ولكن لما آن وقت ارجاعها بعد عرفة ارجعوا ثلاثا واغتصبوا اثنتين

(١١) اذا حكمت المحكمة الشرعية حكما وصدق عليه قاضي القضاة والتدقيقات الشرعية ووسط المحكوم عليه واسطة أو رشوة أو نفاقا أو تجسسا أو اطراءا انعكست القضية واصبح المحكوم عليه محكوما له .

وهذا الباب مفتوح للجميع وبعد قليل يصل الآخر الى ماوصل اليه المحكوم عليه فتنعكس القضية مرة ثانية وبعد مدة تنقلب اخرى وهلم جرا

(١٢) القاضي لا يحكم الا بأمر الملك، وحجته انه هو الذي ولاه فكيف يحكم بغير امره واستحسانه . واذا شهد شاهد فتزكيته أن يكون مخلصا لسيدهم وبذلك يكون اعدل الناس ويقوم مقام اثنين واكثر

(١٣) كان على سواري المسجد الحرام كتابات من قبل سلاطين مصر وتركية وغيرهما بإبطال المكوس بمكة والمدينة فطمس الكتابة بالجير ولكنها لا تزال ظاهرة الاثر

(١٤) اذا أراد اغتصاب قطعة ارض من صاحبها تذرع بالطرق العامة وانه يريد أن يفتح طريقا أو يوسعه فيكره صاحب العقار على تركها له في مقابل شيء لا يذكر ثم يأخذ الملك منها قطعة صغيرة للطريق والباقي يبنيه لنفسه بيوتا ودكاكين [illegible] فصار له عقار كثير جداً وإنما يأخذ ذلك باسمه بناء على فتوى من القضاة بأن الملك للحكومة لا يصح لانها هيئة وانما يصح لشخص بعينه

(١٥) اذا اضطر أحد الاعيان من شدة تضييقه عليهم الى عرض بعض الحلي والجواهر للبيع فللشريف دلال مخصوص لا يمكن أن يباع شيء من ذلك حتى يعرض عليه وهو يأخذها بابخس الاثمان لحساب سيده بعد أن يحذر الدلالين من المساومة فيها والمزايدة

(١٦) اذا ورد رقيق يأخذ لنفسه الوصائف والغلمان الحسان بابخس ثمن فاذا تظلم النخاس يقال له هذه عشور الحكومة التي نحافظ عليك من قناصل الدول ومراراً طالب قنصل الانكليز تسليم النخاسين من رعاياهم ورعايا الحكومة الايطالية فلم تسلمهم الحكومة

(١٧) كان له دار في المسعى جعلها مدرسة بعد أن جمع لها اعانات

كثيرة وسلب الاوقاف من اهلها وحبسها على المدرسة وشرط لها شروطا تجعل المدرسة في أي وقت عرضة للاغلاق وطرد المدرسين والطلبة ، ويرجع بناءها لملكه الخاص بؤجره وزاد ان ضم هذه الاوقاف الكثيرة الى ملكه ـ أو أوقافه ـ أيضا

(١٨) أسس شركة تجارية سماها (الشركة الوطنية) رئيسها أحد صنائعه يدعى عبدالوهاب قزاز ولا مال لهذه الشركة وإنما رأس مالها ما تأخذه من التجار من البضائع بالطريقة الآتية: اذا وصلت البضائع الى الجمرك فللملك عمال هناك يعرفون البضائع الرائجة فيحجزونها على اسم الشركة وترسل الى مكة في أول قافلة وتمنع البضائع الاخرى من الخروج حتى تباع هذه كلها وبعد ذلك يسمح للبضائع الاخرى بالخروج الى مكة، والبضائع التي أخذتها الشركة هي من أموال التجار ولكن لا يدفع ثمنها اليهم الا بعد بيعها بأشهر ، ونادر جداً أن يدفع الثمن كله، وهذه الشركة تخلط الزيت مع السمن والماء مع الغاز وتتطفف الكيل والميزان وقد صار الآن رأس مالها عظيما وهي ملك خالص للشريف لاشريك له فيها

(١٩) يقول دائما (جوع كلبك يتبعك) فلذلك تراه دائما ضد التجار ويسعى في مماكستهم وفي كل شهرين أو ثلاثة يزيد رسم الجمرك والغرامات عظيمة والبضائع متراكمة بدون بيع لانه لا يسمح لهم الا بالكاسد بعد أن يبيع هو ما انتقاه من بضائعهم، وان دام هذا الحال على التجار فعاقبتهم الافلاس حتما

وكذلك يضيق على العربان أولا في بيع ما يجلبونه الى مكة من غنم وغيرها ، فلا يأذن لهم أن يبيعوها الا بالسعر الذي يسمح لهم به ، ولا يسمح لهم بشراء الطعام الا بمقادير قليلة جداً ، فمن طلب ارزاً

أو دقيقا لا يعطى الا الربع ومن طلب ثوب قماش لا يسمح له الا بالربع حتى اصبح العربان في ضيق شديد وضنك من العيش حتى قال بعضهم: انه يمنعنا طعامنا الذي نأخذه بدراهمنا حتى صرنا نهرب من الضيوف لاننا لا نجد ما نطعمهم بعد أن كنا في كل ليلة نذبح الخرفان و نطبخها بالارز وثانيا في أجور جمالهم للحجاج والقوافل لاجل سمسرته كما تقدم. وقصده من كل ذلك جعل جميع الناس فقراء حتى يتبعوه ويجند منهم من يشاء بمرتب عشرة ريالات مجيدية ليقاتل بهم ابن السعود والامام يحيى والادريسي

(٢٠) سبب منع العربان للحجاج من زيارة المدينة المنورة الا بجعل يأخذونه منهم أنه كان لقبائل حرب منذ القدم مرتبات من الدول الاسلامية وآخرها الدولة العثمانية (...) ...سنويا في مقابل امن الطارق وحفر الآبار واحضار الحطب والماء للحجاج في الطريق وعطائها ولما ثار الشريف على الدولة العثمانية كان يعطيهم اياها للاستعانة بهم على فتح المدينة بعد حصارها فلما فتحت المدينة بالمدنة قطع تلك المرتبات وصار العربان من حرب وغيرهم يتعرضون للحجاج في طريق المدينة و يأخذون من كل شخص جنيهين فاكثر وفي كل سنة يكون عدد الزائرين (٣٠) الف جمل أو يزيدون ثم ما اكتفى بقطع المرتبات بل صار يجعل اجرة الجمل من مكة أو جدة الى المدينة (١٦) جنيها يأخذ منها (٦) لنفسه وللحكومة واحد وللمقدم والمطوف والرهينة (واحد) ولقائمقام القصر الشريف محسن (واحد) وللوسائط (واحد) فيبقى للجمال خمسة فتضرر العربان من هذه الحالة وطلبوا منه الانصاف فامتنع وامتنعوا هم ايضا من حمل الحجاج وذهبوا بجمالهم الى ديارهم فارسل لهم الوسائط

تسترضيهم فرجعوا وشرطوا شروطا منها منع السخرة على جمالهم وعدم تكليفهم بالذهاب بها الى مواقع الحرب جهة ابها صبيا والطائف وعدم شراء جمالهم من المزاد واعطائهم الماشات من رجب سنة ١٣٤٢ الى آخر سنة ١٣٤٢ مبلغ (١٨) جنيه مقدما وجعل كراء الجمل الصافي يدهم (٨) ولغيرهم (٨) واذا وقع على القافلة تعد فهم يضمنون التعدي الى آخر قطرة من دمائهم خلافا لما كان سابقا من عدم الضمان فحلف لهم بالوفاء ولكنه لم يف واعطاهم من الثمانية عشر الف جنيه اي جنيه فامتنعوا عن قبولها وخرجوا من مكة غضابا ولما وصلت القافلة الى رابغ أرجعوها الى مكة بدون زيارة وقد مكثت القوافل في رابغ عشرة أيام لان بعض الجمالة هربوا بجمالهم الى منازلهم [illegible] كانت منازله حول جدة ومكة فقد عادوا بالحجاج وقد ارسلت الحكومة واخرها الى ينبع ونقلت الحجاج على حسابها بزعمها مع انها كانت أخذت رسم الجمل (٨) جنيهات وزادت رسم الجمال الى مكة مجيديا ولما رجعت القوافل بهم خرج وقابلهم من الزاهر والشهدا راكبا حصانه وقد سبقه بساعتين محسن راكبا السيارة فلما سمع الجمالة صوت السيارة ايقنوا انه يريد أذاهم فقطعوا اربطة الاحمال وقلبوا الشقادف بمن فيها فمنهم من جرح ومنهم من كسرت يده أو رجله والقليل منهم سلموا ودخلوا مكة على حالة مبكية

هذا قليل من كثير من المظالم الواقعة على الحجاج والاهالي

لها بقية

ابطال وحدة الوجود

والرد على القائلين بها

لشيخ الاسلام تقي الدين احمد ابن تيمية رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس احمد بن تيمية رضي الله تعالى عنه عن كراس وجد بخط بعض الثقات قد ذكر فيها كلام جماعة من الناس فما فيه

(قال) بعض السلف: ان الله تعالى لطَّف ذاته فسماها حقا، وكثفها فسماها خلقا، قال الشيخ نجم الدين بن اسرائيل [illegible] ظهر في الاشياء حقيقة واحتجب بها مجازا، فمن كان من أهل الحق والجمع شهدها مظاهر ومجالي، ومن كان من اهل المجاز والفرق شهدها ستوراً وحجبا.

(قال) وقال في قصيدة له:

لقد حق لي رفض الوجود واهله   وقد علقت كفاي جمعا بموجدي

ثم بعد مدة غير البيت بقوله « لقد حق لي عشق الوجود واهله » فسألته عن ذلك فقال: مقام البداية أن يرى الاكوان حجبا فيرفضها، ثم يراها مظاهر ومجالي فيحق له العشق لها، كما قال بعضهم:

أقبل ارضا سار فيها جمالها   فكيف بدار دار فيها جمالها

(قال) وقال ابن عربي عقيب انشاد بيتي أبي نواس

رقَّ الزجاج وراقت الخمر   فتشاكلا فتشابه الامر

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

ليس صورة العالم فظاهره خلقه ، وباطنه حقه . وقال بعض السلف عين ماترى ، ذات لاترى ، وذات لاترى ، عين ماترى ، الله فقط والكثرة وهم . قال الشيخ قطب الدين ابن سبعين : ربٌ مالك ، وعبد هالك ، وانتم ذلك ، الله فقط والكثرة وهم

للشيخ محيي الدين ابن عربي

ياصورة انس سرها معناني ماخلقت للامر ترى لولاني

شئناك فأنشأناك خلقاً بشراً تشهدنا في أكل الاشياء

وطلب بعض أولاد المشايخ للحرمايري من والده الحج(١) فقال له الشيخ طف يا بني [illegible]

(وقال) قيل من رأى [illegible] فهات هذا الصنم المعبود في الارض وانه ما وجه الله ولا خلا منه . وفيه للحلاج

سبحان من أظهر ناسوته سر سناه لاهوته الثاقب

ثم بدا مستتراً ظاهراً في صورة الآكل والشارب

قال وله

عقد الخلائق في الإله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

وله أيضا

بيني وبينك إنيٌ تزاحمني فارفع بحقك إنيي من البين

(قال) وقال الشيخ شهاب الدين السهروردي الحلبي المقتول: بهذه البقية(٢) التي طلب الحلاج رفعها تصرف الاغيار في دمه . وكذلك قال

(١) كذا والعبارة غير ظاهرة فلعلها محرفة (٢) لعلها الآنية

السلف : الحلاج نصف رجل وذلك أنه لم ترفع له الانية بالمعنى فرفعت له صورة . قالوا لمحيي الدين بن العربي

والله ماهي الا حيرة ظهرت   وبي حلفتُ وان المقسمَ اللهُ

وقال فيه : المنقول عن عيسى عليه السلام أنه قال . ان الله تبارك وتعالى اشتاق أن يرى ذاته المقدسة فخلق من نوره آدم عليه السلام وجعله كالمرآة ينظر الى ذاته المقدسة فيها،واني أنا ذلك النور وآدم المرآة.

قال ابن الفارض في قصيدته (نظم السلوك) :

وشاهد اذا استجليت نفسك من ترى   بغير مراء في المرآة الصقيلة
أغيرك فيها لاح أم أنت ناظر   اليك بها عند انعكاس الاشعة

(قال) وقال ابن اسرائيل : الامر أمران أمر بواسطة وأمر بغير واسطة . فالامر الذي بالوسائط كله من شاء الله ورده من شاء الله تعالى ، والامر بغير واسطة لا يمكن خلافه ، وهو قوله تعالى (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) فقال له فقير ان الله تعالى قال لآدم بلا واسطة لا تقرب الشجرة فقرب وأكل ، فقال صدقت وذلك أن آدم انسان كامل . وكذلك قال شيخنا علي الحريري : آدم صفي الله تعالى كان توحيده ظاهراً وباطناً فقال فكان قوله تعالى « لا تأكل » ظاهراً ، وكان أمره « كل » باطنا ، فأكل فكذلك قوله تعالى. وابليس كان توحيده ظاهراً ، فأمر بالسجود لآدم فرآه غيراً فلم يسجد فغير الله عليه وقال (اخرج منها) الآية

(قال) وقال شخص لسيدي حسن يا سيدي اذا كان الله يقول لنبيه (ليس لك من الامر شيء) ايش نكون نحن ؟ فقال سيدي ليس

الامر كما تظن ، قوله (ليس لك من الامر شيء) أيش غير الاثبات للنبي صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى . إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم)

وفيه لأوحد الدين الكرماني

ما غبت عن القلب ولا عن عيني ما بينكم وبيننا من بين

غيره

لا تحسب بالصلاة والصوم تنال قربا ودنوا من جمال وجلال
فارق ظلم الطبع تكن منه آ بالله والا كل دعواك محال

غيره للحلاج

اذا بلغ الصب الكمال من الهوى وغاب عن المذكور في سطوة الذكر
يشاهد حقا حين يشهده الهوى بأن صلاة العارفين من الكفر

للشيخ نجم الدين بن اسرائيل

الكون يناديك ألا تسمعني من ألف أشتاتي ومن فرقني
أنظر لتراني منظرا معتبرا ما في سوى وجود من أوجدني

وله

ذرات وجود هي للحق شهود أن ليس لموجود سوى الخلق وجود
والكون وان تكثرت عدته منه الى علاه يبدو ويعود

وله

برئت اليك من قولي وفعلي ومن ذاتي براءة مستقيل
وما أنا في طراز الكون شيء لأني مثل ظل مستحيل

للعفيف التلمساني

أحن اليه وهو قلبي وهل يُرى ... سوايَ أخو وَجد يحن لقلبه

ويحجب طرفي عنه اذ هو ناظري ... وما بُعده الا لافراط قربه

قال بعض السلف : التوحيد لا لسان له والالسنة كلها لسانه .

(وفيه) لا يعرف التوحيد الا الواحد ، ولا تصح العبارة عن التوحيد ، وذلك أنه لا يعبر عنه الا بغير ، ومن أثبت غيراً فلا توحيد له

(وفيه) سمعت من الشيخ محمد بن بشر النواوي أنه ورد سيدنا الشيخ علي الحريري الى جامع نوى قال الشيخ محمد فجئت فقبلت الارض بين يديه وجلست فقال يابني وقفتُ مدة مع المحبة فوجدتها غير المقصود لان المحبة لا تكون الا من غير لغير وغير ما ثم ، ثم وقفت مدة مع التوحيد فوجدته كذلك لان التوحيد لا يكون الا من عبد لرب ، لو أنصف الناس ما رأوا عبداً ولا معبوداً

(وفيه) سمعت من الشيخ نجم الدين بن اسرائيل مما أسرّ الي أنه سمع من شيخنا الشيخ علي الحريري في العام الذي ترفي فيه قال يا نجم رأيت لهاتي الفوقانية فوق السموات وحنكي تحت الارضين ، ونطق لساني بلفظة لو سمعت مني ما وصل الى الارض من دمي قطرة . فلما كان بعد ذلك بمدة قال شخص في حضرة سيدي الشيخ حسن بن الحريري ياسيدي حسن اما خلق الله أقل عقلا ممن ادعى أنه الله مثل فرعون ونمرود وأمثالهم . فقلت أنا هذه المقالة ما يقولها الا اجهل خلق الله لو اعرف خلق الله . فقال صدقت . وذلك انه سمعت من جدك يقول رأيت كذا وكذا . فذكر ما روا نجم الدين عن الشيخ

(وفيه) قال بعض السلف : من كان عينَ الحجاب على نفسه فلا

حاجب ولا محجوب

(والمطلوب من السادة العلماء) أن يبينوا لنا هذه الاقوال وهل هي حق أو باطل ؟ وما يعرف به معناها وما يبين أنها حق أو باطل وهل الواجب انكارها ؟ أو اقرارها ؟ أو التسليم لمن قالها ؟ وهل لها وجه سائغ ؟ وما حكم من اعتقد معناها . إما مع المعرفة بحقيقتها ، وإما مع التأويل المجمل لمن قالها والمتكلمون ارادوا لها معنى صحيحا يوافق العقل والنقل ويمكن تأويل ما يشكل منها وحملها على ذلك المعنى ؟ وهل الواجب بيان معناها وكشف مغزاها ، اذا كان هناك ناس يؤمنون بها ، ولا يعرفون حقيقتها ؟ أم ينبغي السكوت عن ذلك وترك الناس يعظمونها ويؤمنون بها مع عدم العلم بمعناها ؟

(فأجاب شيخ الاسلام) أبو العباس تقي الدين احمد ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه :

الحمد لله رب العالمين . هذه الاقوال المذكورة تشتمل على اصلين باطلين مخالفين لدين المسلمين واليهود والنصارى مخالفتهما للمعقول والمنقول

(أحدهما) الحلول والاتحاد وما يقارب ذلك كالقول بوحدة الوجود كالذين يقولون إن الوجود واحد ، فالوجود الواجب للخالق هو الوجود الممكن للمخلوق ، كما يقول ذلك أهل الوحدة كابن عربي وصاحبه القونوي وابن سبعين وابن الفارض صاحب القصيدة التائية (نظم السلوك) وعامر البوصيري السيواسي الذي له قصيدة تناظر قصيدة ابن الفارض

والتلمساني الذي شرح مواقف النفري (١) ولهشرح الاسماء الحسنى على طريقة هؤلاء، وسعيد الفرغاني الذي شرح قصيدة ابن الفارض، والششتري صاحب الارحال الذي هو تلميذ ابن سبعين وعبد الله البلياني وابن أبي منصور المصري صاحب (فك الازرار، عن اعناق الاسرار) وامثالهم

ثم من هؤلاء من يفرق بين الوجود والثبوت كما يقوله ابن عربي ويزعم أن الاعيان ثابتة فى العدم غنية عن الله في انفسها، ووجود الحق هو وجودها، والخالق مفتقر الى الاعيان في ظهور وجودها، وهي مفتقرة اليه في حصول وجودها الذي هو نفس وجوده، وقوله مركب من قول من قال المعدوم شيء وقول من يقول وجود المخلوق هو وجود الخالق. ويقول فالوجود المخلوق هو الوجود الخالق، والوجود الخالق هو الوجود المخلوق، كما هو مبسوط في غير هذا الموضع

وفيهم من يفرق بين الاطلاق والتعين كما يقوله القونوي ونحوه فيقولون ان الواجب هو الموجود المطلق لا بشرط. وهذا لا يوجد مطلقاً إلا في الاذهان فما هو كلي في الاذهان لا يكون في الاعيان إلا معيناً، وان قيل ان المطلق جزء من المعين لزم أن يكون وجود الخالق جزءاً من وجود المخلوقات، والجزء لايبدع الجميع ويخلقه، فلا يكون الخالق موجوداً

ومن قال ان الباري هو الوجود المطلق بشرط الاطلاق كما يقوله

---

(١) هو الشيخ محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفري الصوفي المتوفى سنة ٣٥٤ والتلمساني شارحه عفيف الدين سليمان بن علي الصوفي الشاعر صاحب الديوان المشهور توفي سنة ٦٩٠

ابن سينا وأتباعه فقوله أشد فساداً فان المطلق بشرط الاطلاق لا يكون إلا في الاذهان لا الاعيان ، فقول هؤلاء بموافقة من هؤلاء الذين يلزمهم التعطيل شر من قول الذين يشبهون أهل الحلول

وآخرون يجعلون الوجود الواجب والوجود الممكن بمنزلة المادة والصورة يقولها (١) المتفلسفة أو قريب من ذلك كما يقوله ابن سبعين وامثاله

وهؤلاء اقوالهم فيها تناقض وفساد ، وهي لا تخرج عن وحدة الوجود أو الحلول أو الاتحاد وهم يقولون بالحلول المطلق والوحدة المطلقة والاتحاد المطلق ، بخلاف من يقول بالمعين كالنصارى والغالية من الشيعة الذين يقولون بالاهية علي أو الحاكم أو الحلاج أو يونس القتبي أو غير هؤلاء ممن ادعيت فيه الالهية ، فان هؤلاء انما يقولون بالحلول المقيد الخاص ، واولئك يقولون بالاطلاق والتعميم ، ولهذا يقولون النصارى انما كان خطأهم بالتخصيص ، وكذلك يقولون عن المشركين عباد الاصنام انما كان خطأهم لأنهم اقتصروا على عبادة بعض المظاهر دون بعض ، وهم يجوزون الشرك وعبادة الاصنام مطلقاً على وجه الاطلاق والعموم ، ولا ريب أن في قول هؤلاء من الكفر والضلال ما هو أعظم من اليهود والنصارى ، وهذا المذهب كثير في كثير من المتأخرين وكان طوائف من الجهمية يقولونه . وكلام ابن عربي (فصوص الحكم) وغيره (٢) وكلام ابن سبعين وصاحبه الششتري وقصيدة ابن الفارض (نظم السلوك) وقصيدة عامر البصري وكلام العفيف التلمساني وعبد الله البلباني والصدر القونوي وكثير

(١) لعل اصله التي يقولها الخ «٢» قوله وكلام ابن عربي مبتدأ خبره مع ما عطف عليه قوله بعد : وهو مبني على هذا المذهب

من شعر ابن اسرائيل وما ينقل عن شيخه الحريري ، وكذلك يوجد نحو منه في كلام كثير من الناس غير هؤلاء هو مبني على هذا المذهب مذهب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، وكثير من أهل السلوك الذين لا يعتقدون هذا المذهب يسمعون شعر ابن الفارض وغيره فلا يعرفون أن مقصوده هذا المذهب ، فان هذا الباب وقع فيه من الاشتباه والضلال ، ما حير كثيراً من الرجال

وأصل ضلال هؤلاء أنهم لم يعرفوا مباينة الله سبحانه للمخلوقات وعلوه عليها ، وعلموا أنه موجود فظنوا أن وجوده لا يخرج عن وجودها ، بمنزلة من رأى شعاع الشمس فظن أنه الشمس نفسها

ولما ظهرت الجهمية المنكرة لمباينة الله وعلوه على خلقه افترق الناس في هذا الباب على أربعة أقوال ، فالسلف والأئمة يقولون : إن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه (١) كما دل على ذلك الكتاب والسنة

---

(١) هذه الكلمة المأثورة بالروايات الصحيحة المسندة الى أئمة السلف قد جمعت في صفات الله تعالى بين قبول نصوص الكتاب والسنة وبين التنزيه المطلق الذي اراده الجهمية والمعتزلة وبعض نظار الاشعرية بتأويل النصوص بالتحكم والتكلف المؤدي الى تعطيلها وجعلها كالمنسوخ حتى لا يذكروها في عقائدهم ويسمون من يذكرها على اطلاقها مشبها - فباينة الله تعالى لخلقه ابلغ ما يقال في تنزيهه عن مشابهتهم في شأن ما من شؤون الربوبية والالوهية أو مشابهته لهم في شأن ما من شؤون المخلوقين، فعلوه تعالى على خلقه واستواؤه على عرشه فوق جميع سماواته لا يقتضي مع ما ذكر من المباينة أن يكون محصوراً أو محدوداً أو متحيزاً، اذ علوه سبحانه علو مباينة لها لا كعلو بعضها على بعض، فان هذا امر إضافي لا حقيقة له في نفسه، يعترف بهذا جميع الفلاسفة وعلماء المعقول في كل زمان

وإجماع سلف الامة . وكما علم العلو والمباينة بالمعقول الصريح الموافق للمنقول الصحيح، وكما فطر الله على ذلك خلقه في إقرارهم به وقصدهم إياه سبحانه وتعالى

والقول الثاني : قول معطلة الجهمية ونفاتهم وهم الذين يقولون لا داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له ولا محايث له، فينفون الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو موجود من أحدهما كما يقول ذلك أكثر المعتزلة ومن وافقهم من غيرهم

والقول الثالث : قول حلولية الجهمية الذين يقولون أنه بذاته في كل مكان كما تقول ذلك النجارية أتباع حسين النجار وغيرهم من الجهمية وهؤلاء القائلون بالحلول والاتحاد من جنس هؤلاء فان الحلول أغلب على عُبّاد الجهمية وصوفيتهم وعامتهم والنفي والتعطيل أغلب على نظارهم ومتكلميهم كما قيل : متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئا ، ومتصوفة الجهمية يعبدون كل شيء ، وذلك لأن العبادة تتضمن القصد والطلب والارادة والمحبة وهذا لا يتعلق بمعدوم . فان القلب يتطلب موجوداً فاذا لم يطلب ما فوق العالم طلب ما هو فيه

وأما الكلام والعلم والنظر فيتعلق بموجود ومعدوم. فاذا كان أهل الكلام والنظر يصفون الرب بصفات السلب والنفي التي لا يوصف بها الا المعدوم لم يكن مجرد العلم والكلام ينافي عدم المعلوم المذكور بخلاف القصد والارادة والعبادة فانه ينافي عدم المعبود ولهذا تجد الواحد من هؤلاء عند نظره وبحثه يميل الى النفي وعند عبادته وتصوفه يميل الى الحلول واذا قيل هذا ينافي ذلك. قال ذاك مقتضى عقلي ونظري ، وهذا مقتضى

ذوقي ومرئي . ومعلوم أن الذوق والوجدان لم يكن موافقاً للعقل والنظر وإلا لزم فسادهما أو فساد أحدهما

والقول الرابع : قول من يقول ان الله بذاته فوق العالم وهو بذاته في كل مكان . وهـذا قول طوائف من أهل الكلام والتصوف كأبي معاذ وأمثاله . وقد ذكر الاشعري في (المقالات) هـذا عن طوائف ويوجد في كلام السالمية كأبي طالب المكي وأتباعه مثل أبي الحكم ابن برجان وأمثاله مايشير الى نحو من هذا كما يوجد في كلامهم ما يناقض هذا

وفي الجملة فالقول بالحلول أو ما يناسبه وقع فيه كثير من متأخري الصوفية . ولهذا كان أئمة القوم يحذرون منه كما في قول الجنيد لما سئل عن التوحيد فقال التوحيد إفراد الحدث عن القدم فبين أن التوحيد أن تميز بين القديم والمحدث وقد أنكر عليه ذلك ابن عربي صاحب الفصوص وادعى أن الجنيد وأمثاله ماتوا وما عرفوا التوحيد ، لما أثبتوا الفرق بين العبد والرب، بناء على دعواه أن التوحيد ليس فيه فرق بين الرب والعبد ، وزعم أنه لا يميز بين القديم والمحدث الا من يكون ليس بقديم ولا محدث . وهذا جهل فان المعرفة بأن هذا ليس ذاك والتمييز بين هذا وذاك لا يقتضي أن يكون العارف المميز بين الشيئين ليس هو أحد الشيئين بل الانسان يعلم أنه ليس هو ذاك الانسان الآخر مع أنه أحدهما فكيف لايعلم أنه غير ربه وان كان هو أحدهما؟

من الخرافات الى الحقيقة (٠)

(١٠)

ان الائمة في نظر طائفة (الامامية) يأتون على هذا الترتيب : (١) سيدنا علي (٢) الحسن (٣) الحسين (٤) علي زين العابدين (٥) محمد الباقر بن زين العابدين (٦) جعفر الصادق بن محمد الباقر (٧) موسى الكاظم بن جعفر الصادق (٨) علي الرضا بن موسى (٩) محمد بن علي التقي (١٠) علي بن التقي (١١) حسن بن علي الزكي (١٢) محمد بن حسن العسكري

يعتقد الاماميون أن الامام الثاني عشر وهو محمد بن حسن العسكري حيّ الى اليوم (وهو الامام المهدي المنتظر عندهم)

ومن مطالعة مؤلفاتهم يرى الانسان عقائد غريبة مثل قولهم : غيبة صغرى ، وغيبة كبرى

الغيبة الصغرى [illegible] أنه كان في [illegible] محجوبة في زمان المعتمد العباسي مناسبات وعلائق بين الامام وصلحاء الامة ، وكان بينهم سفراء ووكلاء ودام هذا ٧٣ سنة

الغيبة الكبرى : ابتدأت في خلافة الراضي بن المقتدر وانقطعت بعد ذلك المناسبات بين الائمة والامة وكان أول وكيل للامام عند الخلفاء (عثمان ابن سعيد العمري الاسدي) ثم انتقلت هذه السفارة بأمر الامام الى ابنه أبي جعفر — وظل هذا وكيلا عن الامام خمسين سنة ؛ ثم انتقلت الى أبي القاسم حسين بن روح بن أبي بحر النوبختي، وبوفاته انتقلت وكالة الامام الى (أبي الحسن علي بن محمد السميري) وعند ما مرض هذا مرض الموت سألته الشيعة لمن يجب توجيه الوكالة؛ فأعطاهم مكتوبا زعم أنه أخذه من الامام المخفي هذه صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . ياعلي بن محمد السميري عظم الله أجر اخوانك فيك ، فانت ميت ، مابيني وبينك ستة أيام — فاجمع امرك ولا توص الى أحد فيقوم مقامك . وبعد وفاتك قد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور بعد إلا باذن الله تعالى ذكره ، وذلك بعد طول الامد ، وقسوة القلوب ، وامتلاء الارض

---

٠) تابع لما سبق من الكتاب المترجم عن التركية (راجع ص ٣٨٨ م ٢٤)

جوراً . وسيأتي من شيعتي من يدعي المشاهدة ، ومن يدعي المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم »

وبهذا المكتوب يدعي الاماميون أن الغيبة الصغرى قد انتهت ، وان الامام اختفى ، وان الغيبة الكبرى قد ابتدأت

ان هذه العقائد ليست من الاسلامية في شيء ، وهي إيرانية بحتة

ان الامام الثاني عشر توفي عام ٢٦٠ في زمان الخليفة العباسي المعتمد وما رآه هؤلاء الاكارم من الأذى حقيقة يحرق الفؤاد ، ان والد حسن جلب بأمر الخليفة المتوكل من المدينة الى (سر من رأى) وحبس هناك وظل في السجن حتى مات . وهكذا عومل حسن ، وحينما حبس الامام حسن خرج ابنه البالغ من العمر خمس سنين ليفتش على أبيه . ثم دخل في مغارة أو سرداب ولم يخرج منها

وظل الامامية يذهبون مدة طويلة يوميا لباب المغارة ينتظرون خروج الامام منها . كما ذكر ابن خلدون

ان الامامية لم يكتفوا بتصديق الأوهام وادخالها بين قواعد الدين ، بل اخترعوا أحاديث ما لها أصل وقدموها للعوام [illegible] صحيحة تأمينا لمنافعهم وتهويلها بالبساطة ان هذه الاحاديث التي تبحث عن فضائل الطعام والتي قيل فيها إن كذا وكذا من طعام أهل الجنة وامثال ذلك من الخرافات جميعها من تلفيقات الاماميين . (١)

ان هذه الاحاديث الموضوعة تجاوزت الحد وأضرت بالمسلمين اضراراً اقتصادية ايضاً . مثلا : ماذا تظن بأصل الاستمداد من الاموات ؟ وتجميع الاعانات لهم ؟ رجل كسلان لا يقدر ان يحسن عملا يرى في المنام قبراً لا يعلم احد ما في داخله (٢) فيتخذه ذريعة للمعيشة بدون تعب ، يعلق هناك قنديلا ، ويرفع على اطرافه حائطا «٣» ثم يكتب لوحا بأن زيارته تشفي الامراض وتقضي الديون . ثم يضم جملة توافق هواه ويسميها حديثاً . ويكتبها بخط جلي ويعلقها في محل مرتفع . عندئذ يصدقه البله ويهرعون للزيارة وللاعانة ولتقديم النذور؟؟؟؟

---

(١) هذا من تحامل المؤلف فوضاع الاحاديث من غيرهم كثيرون (٢) قد يكون ما فيه حمار أو كلب وقد يكون خاليا ولذلك وقائع معروفة في بلاد مصر وغيرها (٣) لعل المؤلف بناء القبة فوقه

فهذا الحال اضر بالمسلمين اضراراً عظيمة — اولها مخالفة حكام الدين وثانيها إغراء الناس بالمطل والاحتيال وثالثها تعطيل قسم عظيم من الثروة العمومية ورابعها أنه يسوق الناس للاوهام ويبعدهم عن الجزم بأن (ليس للانسان إلا ماسعى) فالعمدة في الرزق الكسب من طريق الاسباب ، لا ما اعطاه الاموات

أما آن الاوان أيها المسلمون لنبذ هذه الخرافات ؟ أليس قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ابلغ من جميع هذه الترّهات ؟

فرقة الكاملية

من الشيعة من غالى وزعم أن كل من لم يبايع علياً رضي الله عنه عقيب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر حتى إن عليا نفسه لم يسلم من اتهامهم

منهم الكاملية رجل اسمه أبو كامل كان يقول بالتناسخ وهذه خلاصة تعاليمه : «الامامة نور تنتقل من شخص الى آخر ، وتتجلى هذا النور في شخص بشكل النبوة وفي آخر بشكل الامامة ، [illegible] يتحول نور الامامة الى نور النبوة»

هذه اصول خرافاته . [illegible] «١»

فرقة البيانية

هؤلاء يقولون بتجسد الله . « سبحانه وتعالى »

رئيسهم رجل اسمه (بيان بن سمعان التيمي) . وهذه خلاصة مذهبه : ان الله بصورة الانسان . ولا أحد يبقى غيره «٢» وان روحه حلت أول الامر في علي ابن أبي طالب . ثم انتقلت الى ابنه محمد بن الحنفية ثم الى أبي هاشم وأخيراً الى بيان بن سمعان . أي اليه نفسه . (بيان) هذا كان يزعم اتحاد الاله بشخص علي

عجبا من أين اتيت هذه الخرافات الى ديننا الحنيف ؟ أتت من إيران واليونان ومن النصارى لان زعم بيان بنصف ألوهية علي هو عين اعتقاد الايرانيين في (ميترا) والنصارى في عيسى .

(١) هذه الفرقة وامثالها من الغلاة ليسوا من فرق المسلمين وقد انقرض اكثرهم

(٢) وقع غلط في اسم صاحب هذه النحلة ولسبته فهو بيان التيمي بالمثناة لا «بنان» بالنون ومن كان في الاصل وهو القائلين بالتناسخ ، وان الرب رجل من نور يفنى فلا يبقى الا وجهه .

فرقة العليائية

أسسها علياء بن ذراع الاسدي. وكان هذا يزعم أن علياء هو الله. وكان يزعم أن محمداً (ص) بعث من قبل علي

فرقة المغيرية

رئيسها المغيرة بن سعيد العجلي. كان يبالغ اكثر من بيان بما يبين شكله تعالى وحدوده. وهذه نظريته: ان الله انسان من نور وعلى رأسه تاج نوراني. وعند ما أراد أن يخلق البشر تكلم باسمه الاعظم. وعند مابلغه عمل الناس السيء غضب وعرق. وحصل من عرقه بحران أحدهما مالح والآخر حلو. وكان البحر الاول مظلما والثاني نورانيا. ثم نظر البحر النوراني فرأى ظله. فأخذ منه شيئاً وخلق الشمس والقمر «٢». ثم قال لايجوز أن يشاركني في الالوهية أحد، واعدم باقي الظل. ثم خلق المؤمنين من البحر الحلو والكافرين من البحر المالح. اه

لا أشك في أن ... الا انسان ... عند ... من اوربيا يقرأ هذه الترهات باسم طائفة اسلامية. ... أن القرد ... احسن من ذلك.

وهذه النظرية أيضا إيرانية لان الايرانيين كانوا يعتقدون مثل ذلك. وهو وصف الله بما كان يصف الفرس (هرمز) معبودهم ولقد وصف البحار، انما كان الفرس يسمونه (آهريمان)

كان الايرانيون يعتقدون بأن خالق كل شيء هو (هرمز) ثم قال هرمز لزردشت بلغ الناس أن كل شيء يلمع على وجه الارض هو مقتبس من نوري. ولا يوجد في الكون ابهى من ذلك النور. خلقت الجنة والملائكة وكل شيء حسن من هذا النور. وخلقت جهنم وجميع الشرور من بحر الظلمة. فيظهر أن المغيرة أراد أن يقلد (هرمز) ولكنه لم يحسن التقليد أيضا.

فرقة المنصورية

مؤسسها أبو منصور العجلي. ظهر هذا في زمان عبد الملك الاموي. وادعى الامامة. فاجتمع حوله خلق كثير. وشغل الامة وقتا بما لا يفيد.

(١) لا ذكر شيئا عن هذه الفرقة (٢) وفي كتاب الفرق بين الفرق أن ظله فانتزع منه عينيه وخلق منهما الشمس والقمر وافنى باقيه –

وهذه نحلته قال: صعدت الى السماء ورأيت الله ووضع يده على رأسي وقال لي انزل الى الارض وبلغ الناس أوامري

وهذه خرافة مأخوذة من الكلدانية والمصرية ولكنها صبغت بصبغة اسلامية . باللاسف

فرقة الجناحية

رئيسها عبد الله بن معاوية . زعم أن روح الله انتقلت الى الانبياء ثم الى الائمة ثم حلل جميع المحرمات وقسم نظريته الاول مأخوذ من عقيدة قدماء المصريين بالتناسخ وقسم نظريته الثاني أخذه من نظرية (مزدك الايراني

فرقة الخطابية

أسسها أبو الخطاب محمد بن زينب الاجدعي هذا كان يقول بنبوة الائمة وبالوهيتهم . وكان يدعي بأنه أفضل من علي نفسه .

فرقة المشبهة

مؤسسها هشام بن سالم الجواليقي ونظرية هذه الفرقة : لله جسد طوله وعرضه وعمقه متساوية، وهو سبعة اشبار، يشبه الاجسام وجامع للاوصاف الحسية ، وهو جالس على العرش بالتماس . لايعرف الاشياء إلا بعد ظهورها وقبل ظهورها لايعرف عنها شيئا) . اهذه نظرية هشام بن الحكم . وأما نظرية هشام بن سالم فهي :

«زعمه» ان الله بصورة الانسان وله يد ورجل وانف واذن وعين وفم . ونصفه الاعلى مجوف . ولكنه ليس لحما ودما

إن هذه النظريات التي تضحك القرودكانت قصدية لاشغال المسلمين عن الاشياء النافعة ولقد نالوا مايبغون وا أسفاه !!!

فرقة اليونسية

مؤسسها يونس بن عبد الرحمن القمي زعم أن الله جالس على العرش والملائكة تجره من مكان الى آخر . ثم يقول : مع أن الملائكة تجر عرش الله فهو اقوى منهم كلهم .

فرقة المفوضة

يزعم هؤلاء أن الله بعد أن خلق محمداً (ص) فوض اليه خلق كل شيء، فالخلاق هو محمد . وبعضهم ينسب خلقه العالم الى علي

ان هذا ليس من الاسلام بشيء، بل هو نصرانية بثوب اسلامي .

فرقة المشبهة

اشهر اركان هذه الفرقة احمد الهجيمي . زعم هذا بأن الله جسم . يلامس ويصافح وحتى يعانق من يريد من أهل الدنيا .

ومنهم عبد الله بن محمد بن كرام أسس شعبة لهذه الفرقة وسماها (المشبهة الكرامية) . وقال ان العرش هو قطر الالوهية . ؟

أرأيت أيها القارىء المحترم ماذا كان يعتقد اجدادنا ؟ أتظن أن هناك سبب اقوى مما ذكر أدى لتأخرنا وضعفنا ؟ أظن أن هناك سبب لتشوش افكارنا وتردد [illegible]

لا اقل أيها القارىء اللبيب [illegible] . وهو من بقايا القرون القديمة ان آثاره لحد اليوم [illegible] علينا . لماذا يقتل الاتراك والزيديين في اليمن ؟ لماذا اتفق الادريسي مع النصارى ؟ لماذا يقتل الاتراك بالدروز ؟ لماذا يشتغل المسلمون حتى اليوم في ترهات كهذه والاوربي يشتغل بالبخار والحديد ؟ كل هذا لان الاسلامية أضاعت شيئاً مهماً من نباتتها الاصلية واصبحت اعجوبة ممزوجة بالخرافات . والأمر من كل هذا أن العوام اصبحوا خاضعين للخرافات اكثر من الحقائق . وكل من حاول ارجاع المسلمين الى دينهم الصافي يحكم عليه بضعف الاعتقاد !! وهؤلاء المساكين لا يدرون انهم يدينون بخرافات اليونان وإيران .

ثم ان لمبشري النصارى تأثيرا عظيما في اكل ماغاب عن ذهن مؤسس الفرق المبحوث عنها . نعم اولئك كانوا يبتدعون بدعات جديدة وهؤلاء يأتون من طريق منحن أهم مايرمون اليه التشكيك باسم الدين . وأغرب أمرهم أنهم فيما يريدون اقناع الذي يجدونه ساذجا باسم ما يتكلمون على الاديان كلها ويجرحون قواعد الاسلامية والنصرانية مما ليحسن السامع الظن بهم وينالون مأربهم

المسألة العربية في طور جديد

دخلت المسألة العربية في طور جديد بخروج حكومة نجد من عزلتها وتعرفها الى العالم الاسلامي والشعوب العربية ، ومديدها القوية الى مساعدة البلاد العربية على الاستقلال المطلق الذي عبثت به خيانة امراء الحجاز ، والالقاء بدلوها بين دلاء الشعوب الاسلامية في مسألة الخلافة ، وقد صدر بذلك أول بلاغ عام من عاصمة نجد بامضاء نجل سلطانها ارسل الى اشهر الصحف في العالم الاسلامي في ٢٠ رجب سنة ١٣٤٢ وهذا نصه :

للحقيقة وللتاريخ

بعد العنوان

نرجو من جنابكم ان تفسحوا صدر جريدتكم للكلمة التالية خدمة للتاريخ

نشرت جريدة [illegible] ٢١ جمادى الثانية ١٣٤٢ — ٢٧ يناير ١٩٢٤ مقالا بعنوان حديث (ملك الحجاز) [illegible] بعض الجرائد السورية والمراقبة على احاديث وتصريحات تكاد تتفق مع هذا الحديث . ان هذه الاحاديث قد تضمنت أشياء عن سلطان نجد وموقفه في القضية العربية والاتحاد العربي تخالف الحقيقة والتاريخ وانا للأسف ان يتجرأ المسؤلون على الاختلاق على الاحياء.

لقد سعى سلطان نجد في الحرب العالمية وبعد الحرب العالمية لبناء الوحدة العربية فأرسل الكتب العديدة والرسل لابن الرشيد وملك الحجاز وأمير عسير والكويت ولكن ملك الحجاز من بين أمراء العرب قابل الدعوة بالاستهزاء بل سعى لنقض بنيانها بما كان يسعره من نيران الفتن والدسائس في عسير وغيرها وكتبه المرسلة منه الى آل عائض والرشيد محفوظة لدينا. وماذا يقولون في الكتب التي أرسلها سلطان نجد مع مساعد بن سويلم الى ملك الحجاز وأولاده ؟ تلك الكتب نشرت في الصحف في حينها والتي نشرت جريدة المقطم لا تبطن تلك الكتب بما تنطوي عليه جوانح سلطان نجد وميله الشريف الى التصافح مع جيرانه والاتحاد معهم . هل علموا أن ملك الحجاز لم يسمح لاولاده باجابة سلطان نجد

وهو (أي ملك الحجاز) قد تخطى حدود اللياقة بأن جعل جوابه لا كل السعود كافة لا الجالس على عرش نجد . هل هذه الاعمال مما تقرب زمن الاتحاد العربي؟ وهل بمثل هذه السياسة تجتذب قلوب أمراء العرب ؟

يصرح ملك الحجاز أنه خاطب سلطان نجد بأنه مستعد للتنازل عن عرشه وتسليم زمام الامر لمن يستطيع ان يقود العرب الى طريق النجاة والسلامة ، وهذا أمر لا أساس له بالمرة بل الواقع يخالفه تمام المخالفة . نعم إن ملك الحجاز قد صرح أمام بعض الجماهير بمثل هذه التصريحات للتمويه على البسطاء . إن ملك الحجاز يحاول أن يتولى الزعامة غير المقيدة في جزيرة العرب كلها ، ليستذل أمراء العرب ويقتطع بلادهم ويتدخل في شؤونهم الداخلية ، وهذا ما لا يمكن أن يوافقه عليه أحد ، وان مكاتبات ملك الحجاز الى أهل القصيم وحثهم على نقض ولائهم لسلطانهم لدليل بين على ما يخفيه وينويه لسلطان نجد وبلاده .

أن تحت يدنا [illegible] توخرمة وعسيرما يفيد أن ملك الحجاز وولده عبد الله لا يسعون الا [illegible] مصالحهم ولو أدى ذلك الى هدم بناء العرب ولكننا نمسك عن نشرها الآن فان سمح لنا ملك الحجاز بنشرها نشرناها . وهنالك يعلم العالم الاسلامي والعربي تلك الجنايات والدسائس التي يقوم بها أولئك القوم الذين اتخذوا الصياح وقلب الحقائق ديدنا لهم ، وسيعلمون أي الفريقين يجني على أمة العربية ووحدتها ، وأيهم سبب هذا الانقسام وألقى النفرة بين الامراء وأشعل نيران الفتن والحروب بينهم ، ثم سيعلمون أن سلطان نجد لم يكن في جميع مواقفه الا مدافعا عن نفسه وبلاده وشرفه ، وأنه كان ولا يزال راغبا من صميم فؤاده في انشاء الوحدة العربية على أساس يجعل للعرب قوة ومكانة تليق بتاريخهم المجيد »

٢٠ رجب ١٣٤٢ (فيصل بن عبد العزيز بن سعود)

(المنار) نشرهذا البلاغ في جرائد مصر وسورية سائر الاقطار العربية والاعجمية ولم ننشره في الوقت الذي نشرته فيه اكتفاء بها وكان له تأثيرحسن وعلقت عليه الجرائد الحرة تعليقا مقرونا بالتفاؤل والرجاء في دخول قوة نجد في السياسة العربية

العامة . وانا ننشر هنا تعليق جريدة (اتحاد الاسلام) التي تصدر في طهران عاصمة الدولة الايرانية لقلة اطلاع الناس عليها لأنها صحيفة جديدة تنطق بلسان محبي الجامعة الاسلامية ، وهذا نص تعليقها على البلاغ عقب نشرها له

رأي لمسلمي إيران في ثالوث الحجاز وصاحب نجد

هذا المكتوب يعرب عن دسائس ملك الحجاز لامراء العرب وسعيه بتفريق الكلمة العربية ، وما هي بأول قارورة كسرت في الاسلام ، ولا تلك بأول جناية هذا الانسان الشرير على أمته ، فان كل مايعرفه المسلمون عن ملك الحجاز دسائس وحيل وجنايات يقفو بعضها بعضا

بنى عرشا موهوما لملكيته وانما أقام بنيانه على أساس الخداع والنفاق وشق عصا الطاعة حتى اسال الى جوانبه أنهارا من دماء المسلمين الذين كانوا مرابطين في الثغور لحفظ الحرمين من عادية أعداء الاسلام ، ولم يزل يدس هو وأولاده الدسائس للمسلمين ، [illegible] كل ذلك في منفعة الانكليز وغاية ما يقتنصهم من دسائسهم [illegible] أن يقال لاحدهم ملك الحجاز وآخر ملك العراق والثالث ملك الاردن ، وان لم يكن لهذه الالفاظ معنى ولا مصداق ، اذ لا حكم ولا أمر ولا نهي ولا حول لهم ولا قوة وليس لاحدهم من السلطان مقدار ما لاحد صغار مأموري الانكليز الذين يسعى ملك الحجاز وأولاده في تثبيت سلطانهم على المسلمين ، وإحكام طوق العبودية لهم في رقاب المؤمنين

كل ذلك ليقال لاحدهم ملك وهذه اللفظة اصبحت في البلاد التي يوجد فيها هؤلاء الاشرار مرادفة للفظ خادم الانكليز

ويكفي من دسائس الانكليز ما عمله فيصل ابن ملك الحجاز (!!) في العراق فانه بايع رئيس العراقيين آية الله الخالصي على ان يسعى في سبيل استقلال العراق وقطع نفوذ الانكليز فاذا لم يستطع مضى من حيث أتى ، وبايعه العراقيون على ذلك وما تمت له البيعة حتى نكثها وأخذ يسعى لهدم استقلال العراق وتثبيت نفوذ الانكليز فيه بنفي العراقيين وحبسهم وقتلهم بأيدي الانكليز ، حتى انه مد يد العدوان الى آية الله الخالصي نفسه ونفاه من العراق الى الحجاز ولولا جيل

مساعي الدولة الايرانية لبقي فيه منفيا الى الآن ، ولكنها أنخذت جميع الوسائل لمجيئه الى ايران وهو فيها الآن لا يسمح له بالرجوع الى العراق . لماذا ؟ لانه يطالب باستقلال العراق ، وفيصل يسعى ضده ، وكفى من دسائسه ان الانكليز يسعون لقتل المسلمين ونهب أموالهم وهتك أعراضهم بيد الاشوريين وفيصل ساعدهم القوي في ذلك تثبيتا للمعاهدة العراقية الانكليزية . وهذه حادثة كركوك الاخيرة تذيب قلب كل مسلم يسمع ان الاشوريين الذين امدهم الانكليز بالسلاح خربوا المدينة بقتل رجالها ونهب أموالها حتى انهم كانوا يهجمون على الحمامات فيقرون بطون نساء المسلمات فيها . وما كان من فيصل الا أنه عاون الاشوريين لما هاجت القبائل لرد عاديتهم ارضاء لسادانه الانكليز

يشكو آل السعود من دسائس ملك الحجاز في العسير ونحن نعلم من جناياتهم أكثر من ذلك وآل السعود [illegible] يعلمون أن أعمالهم ابو جهل القرن الرابع عشر وأولاده [illegible] ولكن هذه حقيقة يجب أن يعلمها آل السعود وكل مسلم وهي ان ملك الحجاز وأولاده آلة صماء بيد الانكليز ، وكل ما رآه العالم العربي والاسلامي من دسائسهم ما كان الا أمراً أو [illegible] من الانكليز أجروه على أيدي هؤلاء الاجلاف ، فاذا أراد آل السعود التخلص من تلك الدسائس فعليهم أن ينضموا الى غير الانكليز ليستطيعوا تشكيل وحدة عربية وإنهاض المسلمين في جزيرة العرب

وربما يجيب آل السعود انهم يتقاضون من الانكليز في كل سنة مئتين ألف ليرة ولا يمكنهم صرف النظر عنها فحينئذ نقول لهم إن هذا المبلغ يعطى لابادة العرب وهو ثمن بخس ازاء تلك البضاعة الثمينة ، ولا يخدعن آل السعود بذلك فان الانكليز يجرون على أساس التفريق في سياستهم فاذا أعطوا شيئا من المال الى آل السعود فما ذلك الا تزوير وخداع يتظاهرون بسببه بصداقتهم لهم ومن جهة أخرى يغرون بهم مسيلمة الحجاز وأولاده ، وهكذا يصنعون في جميع العالم يمدون كل متخاصمين ليطول الخصام ويدوم الدمار حتى يفنى الفريقان . هذه

مدنية الانكليز فلماذا ينخدع لها ملوك الشرق؟ (١)

إن ملك الحجاز وأولاده قد تمحضوا لعبودية الانكليز فلا يتوقعن ملوك نجد اصلاحهم اذ قد استحوذ عليهم الشيطان (الانكليز) فأنساهم ذكر الله .

وان المسلمين في شرق الارض وغربها قد علموا خياناتهم فلا تؤثر تصريحاتهم على المسلمين الا زيادة نفرة وسوء ظن فلا يهتم بتصريحات أولئك الحجازيين ملوك نجد

ولكن اذا أراد آل السعود قيادة العرب فعليهم ان يقاطعوا الانكليز ويتخذوا سياسة العطف والحنان تجاه العرب كافة ويحذروا كل الحذر من التعصب الديني تجاه طوائف المسلمين فان ذلك أقوى باعث على ابتعاد المسلمين عن ملوك نجد .

وجه ملك نجد حملة الى العراق سنة [illegible] هجرية بقيادة فيصل الدويش(٢) ولو انه كان استعمل العطف والحنان وترك لجميع طوائف المسلمين حريتهم الدينية لما عاقه عائق عن الاستيلاء على العراق [illegible] شدة نفرة العراقيين من الانكليز وخادمهم فيصل [illegible] ولكن فيصل الدويش استعمل من القوة والشدة ازاء قبيلة البدور على ضفاف الفرات ما أجبر العراقيين كافة الى المقاومة التي تمت بنفع الانكليز وفيصل وضرر عامة المسلمين . فعلى آل السعود ان يبدلوا تلك السياسة بسياسة اللين (كذا ولعلها اللين) والعطف التي كانت شعار أئمة المسلمين، ونحن نؤكد لهم انهم يستطيعون ان يقودوا العرب كافة فانهم نافرون من سياسة ملك الحجاز وخداعه .

بقيت لنا كلمة نوجهها الى بعض البلاد العربية التي نسمع من بعض أهلها انهم بايعوا صاحب الحجاز بالخلافة ، ونحن نعلم ان بعض السوريين لشدة حنقهم على

---

(١) المنار . ان سلطان نجد قد رفض الاعانة التي كان يقدمها الانكليز له تمنا لترك العراق وشأنه وذلك من خريف السنة الماضية ١٩٢٣ فاعتبر اخواننا الغيورون في ايران وغيرها عيبا ولولا ذلك لما تصدوا الآن لتدمير عرش حسين الصوري

(٢) كان سبب تلك الحملة دسائس الحجازيين وعدوانهم كما علم بعد ونشر في الجرائد

الفرنساويين يريدون الانتقام منهم لبيعة خادم الانكليز ولكن ذلك لايبرر هذه البيعة النحسة فان عداوة الفرنساويين لاتوجب ان يقدم المسلمون على اهانة مقدساتهم ومحو دياناتهم ببيعة" ضليل خان المسلمين وجنى على العرب جنايات سياسية" ولم يكفه ذلك حتى أقدم على جنايات دينية" باسم الخلافة" ، فكأنه آلى على نفسه ان لا يبقي للمسلمين دينا ولا وطنا الا امتلك الانكليز زمامه .
أيرى السوريون أن عملهم هذا كان انتقاما من الفرنساويين ؟ كلا ! فانه انتقام من المسلمين قبل الفرنساويين .

صح الله عقول الشبيبة السورية وبصرها بواجبها الديني والوطني .

(انتهى من عدد اتحاد الاسلام الرابع الذي صدر في طهران في ٥ ذي القعدة سنة ١٣٤٣)



بلاغ آخر من عاصمة نجد

الى العالم الاسلامي والشعب العربي

(ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين)

منذ بضع سنين قام نفر من إخواننا يطالبون باستقلال العرب وينادون بوجوب اتحاد امراء العرب فشكرنا سعيهم، وحمدنا عملهم، وسألنا الله أن يحسن قصدهم ويرشدهم الى خير العرب . عرضنا عليهم مساعدتنا على أن نضع حداً لمطامع الاجانب ومقدار مداخلاتهم في بلاد العرب فأبوا الا أن ينفردوا بهذا العمل الخطير وأخذوا على عاتقهم مسئوليته ويجوزوا هم وحدهم فخر تحرير بلاد العرب، فقلنا انجح الله استقلال العرب أيا كان المحرر والمنقذ، ولكن ما كاد السيف يوضع في غمده حتى رأينا الاستقلال والتحرير وصاية وانتدابا، وحتى رأينا شباب العرب واحرارهم يقادون الى السجون ويجلون عن بلادهم ويمنعون من الاقامة في ديارهم. فهل الاستقلال ان يصبح العرب غرباء في بلادهم ومرافق الحياة في يد غيرهم ؟ ولولا ان الحجاز يمس شعور المسلمين احتلاله لرأينا الانتداب قد ضرب عليه .

ظننا ان القوم بعد هذه الكوارث يفيقون من نومهم، ويثوبون الى رشدهم، فيعتصمون بحبل الله المتين ويستعينون باخوانهم لانقاذ البلاد العربية وتحريرها من كل متغصب ، ولكن القوم مازالوا في طغيانهم يعمهون ، ماحرك شعورهم احتلال بلاد العرب، وما آلم نفوسهم مايعانيه اخوانهم العرب ، ولكن استولى عليهم الحلم وفقدوا الراحة حينما رأوا جارتهم نجد قوية مستقلة لم تنفذ اليها مطامع المستعمرين ، فقاموا يناوئونها ، ويكدرونا صفو راحتها فهل هذا هو التحرير ؟ وهل تعد هذه الاعمال من وسائل الاستقلال ؟

أيها الشعب العربي الكريم

ان نجداً قد حافظت على استقلالها في جاهليتها واسلامها، ولم يدنس ارضها قدم اجنبي متغصب، وستبقى محافظة على حقها بحمد الله ما بقي في شعبها عرق ينبض

ان نجداً تمد يدها لكل من يريد خير العرب ويسعى لاستقلال العرب وتساعد كل من ينهض لتحرير العرب واتحاد العرب

ان نجداً ترحب بكل عربي اتاها، وتعد ارضها وطناً لكل عربي سوري أو عرقي او حجازي او مصري . ان نجد لا تطمع في امتلاك ارض خارجة عن حدودها الطبيعية، ولكنها لاتقبل الا ان تستقل بلاد العرب كلها استقلالا صحيحا لايكون لغير ابنائها سلطان عليها

الخلافة

ليست الخلافة من الوظائف الروحية التي يقصد بها مجرد التبرك ولكنها وظيفة سامية لجميع المسلمين حق النظر فيها فليس لجماعة او شعب حق البت فيها بدون أخذ رأي باقي الشعوب الاخرى ، ولذلك انكرنا على الحسين بن علي عمله والحط من شأنها بقبوله هذا المنصب الذي لا يليق له، والذي حق البت فيه راجع الى جميع الشعوب الاسلامية

ان أهل نجد يوافقون اخوانهم أهل مصر والهند في وجوب عرض هذه المسألة على مؤتمر يمثل الشعوب الاسلامية تمثيلا صحيحاً وهنالك يسند هذا المنصب الى الكفء الذي يستطيع ان يصون حقوق المسلمين ويبعث فيهم روح

الحياة والنشاط ويربطهم برباط الاخوة الذي كاد ينحل . وهنا لا يسعني الا ان أشكر اخواننا مسلمي الهند العاملين على الجهاد لاستقلال جزيرة العرب وحفظ الخلافة من عبث العابثين (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة)

فيصل بن عبد العزيز السعود

الرياض ٢٨ شوال سنة ١٣٤٢

مؤتمر الشورى

(بشأن الحجاز في عاصمة نجد)

(وردفي كتاب من الرياض الى البحرين وارسل منها الى جريدة الاخبار بمصر)

في أول شهر القعدة سنة ١٣٤٢ اجتمع في قصر الامام عبد الرحمن والد سلطان نجد جمع من العلماء والاعيان ورؤساء الاخوان فمن العلماء الشيخ سعد بن عتيق والشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ سليمان بن سحمان والشيخ عبدالعزيز بن عبد اللطيف والشيخ صالح بن عبد العزيز والشيخ عبدالله بن حسن، ومن رؤساء الاجناد والامراء سلطان بن بجاد بن حميد زعيم برقا من عتيبه وأمير هجرة غطغط (١) وعبد الرحمن بن ربيعان أمير هجرة الداهنة (٢) ورئيس الروقة من عتيبة وفيصل الدويش أمير الارطاوية ورئيس مطير وحزام بن حزام بن عمر وفيصل بن حشر ومعيطي بن عبود وهذال بن سعيدان رؤساء قبائل قحطان وحجاب بن نحيث وهندى الذويبي وعبد المحسن الفرم وعبد العزيز بن مضيان رؤساء حرب وقد حضر الاجتماع غيرهم ممن لم نقف على أسمائهم

افتتح الاجتماع الامام عبدالرحمن موجها كلامه الى العلماء والاخوان فقال:

(١) المنار : ان الذين يدينون من الاعراب بدعوة النجديين يلقنون شرائع الاسلام أولا ثم يحملون على تعلم القراءة والكتابة وعلى ترك البداوة بالهجرة من البادية الى المدن والقرى عملا بسنة صدر الاسلام ويسمون كل قبيلة أو جماعة وحيث يقيم هجره وقد يكون كله أم بعضه من بنائها (٢) لعلها محرفة عن الدهناء

لقد جاءني كتب عديدة من الاخوان يطلبون الغزو والحج وهذه الكتب قد أرسلتها في حينها الى ولدنا عبد العزيز حفظه الله وها هو اليوم أمامكم فاسألوه عن كل ما يبدو لكم

السلطان عبد العزيز. ان جميع ما كتبتموه قد وصل الي، وان شكاياتكم كلها من تعدي بعض المعتدين قد أحطت بها علماً، واني لم أحل دون غرضكم من الغزو الا حقنا لدمائكم ودماء الامة العربية العزيزة، على ان كل شيء له نهاية والصبر له حد لا يتجاوزه، والامور مرهونة بأوقاتها، والفرص لا تهيأ في كل وقت

سلطان بن بجاد: أيها الامام، إننا نريد الحج لا محالة ولا نستطيع ان نصبر على ترك ركن من أركان الاسلام مع قدرتنا عليه. إن مكة ليست ملكا لاحد ولا يحق لاحد ان يمنع مسلما أو يصد مؤمنا عن أداء فريضة الحج. إننا نريد أن نحج، فان منعنا شريف مكة دخلنا مكة بالقوة وان لم يصدنا عن سبيل الله أو يلحق بنا أذى فنحن نحج ولا [illegible] وإذا كنتم ترون من المصلحة تأخير فريضة الحج فلا بد من غزو الحجاز وتخليص البيت من سيطرة طاغية مكة الذي أرهق العباد وضرب من المكوس والرسوم على قاصدي بيته ما تبرأ منه الشريعة الطاهرة.

السلطان عبد العزيز: إن مسألة الحج هي من أهم المسائل التي يرجع الفصل فيها الى علمائنا حفظهم الله وها هم حاضرون فليتكلموا ونحن نتبع خطاهم

الشيخ سعد بن عتيق: إن الحج من أركان الاسلام ومسلمو نجد والحمد لله يستطيعون ان يؤدوا هذا الركن على الوجه الاتم بالرضا أو القوة ولكن من لاصول الشرعية النظر الى المصالح أو المفاسد فالامر الذي قد يؤدي الى ضرر أو مفسدة يدفع فهل هنالك من مفسدة أو مضرة قد تنتج من الترخيص لمسلمي نجد بالذهاب الى بيت الله؟ ذلك ما نريد ان نقف عليه من الواقفين على السياسة

السلطان عبد العزيز: أيها العلماء والاخوان لقد سعيت من مدة طويلة في بسط السلام والامان داخل الجزيرة فنحن لا نود ان نحارب من يسالمنا ولا نمتنع عن مصافاة من يصافينا. لقد أحببت ان نعيش مع أشراف الحجاز كما يعيش

لجيران إلى المودة والمحبة ولكن شريف مكة كما تعلمون يسعى دائماً إلى الدسائس وإلقاء بذور الخلاف بين عشائرنا، ولكنه كان دائماً يبوء بالخسران، والله لا يترك الحق يصرعه الباطل . ان شريف مكة قد ورث من أسلافه بغضكم فهو لا ينفك يطعن في طريقتكم السوي وسيرتكم المحمدية، ولا يألو جهداً في الافتراء علينا والطعن على علمائنا ولكن أهل الحق لا يضرهم من ناوأهم، ولينصرنهم الله ما نصروا دينه، وظاهروا شريعته

ان شريف مكة لم يكفه ادعاؤه الزعامة على العرب مع أنه أضعفهم بل قام يلقب نفسه بامارة المؤمنين مع انه يعلم ان الاقطار الاسلامية كلها تبغضه، وان علماءكم قد أرسلوا التلغرافات الى مصر والهند ينكرون عليه هذه الدعوى التي لا نراه كفوأ لها، ولا بد من وضع حد لاكاذيبه ومفاسده

أما الحج هذه السنة فلا أراه من مصلحتكم . أنا لا أقبل ان تحجوا وبكم شيء من الضعف أن [illegible] من الأذى [illegible] واني على يقين ان أخذ مكة والمدينة لا يحتاج الى كبير [illegible] ولكن مكة ليست لنا وحدنا بل هي للمسلمين كافة، ومادمنا لم نضع خطة بالاشتراك مع المسلمين فانا لا أجيز لكم الاستيلاء على احدى المدن المقدسة

ان شريف مكة قد لا يمنعكم من الدخول الى مكة ولكن الرجل لا يعدم وسائل الشر فقد يدس من يتحرش بكم لتحدث فتنة في مكة في موسم الحج وفيه المسلمون من كل جنس واني أكاد أجزم ان هذه خير فرصة له ليهيج علينا العالم الاسلامي الذي أخذ يفهمنا ويقترب منا ونقترب منه، واعلموا ان الامر لا يطول فاصبروا ان الله مع الصابرين

عندئذ قال العلماء بصوت واحد انه لا حرج عليكم من تأخير الفريضة هذا العام، ما دام ان اداءها قد يؤدي الى فتنة في بلد الله الحرام

فيصل الدويش : لقد وردت الي كتب كثيرة من عشائر مطير الفارة في العراق تطلب العفو والامان لترجع الى أماكنها

أحد العلماء : أن هؤلاء الاشقياء قد خرجوا على ولي أمرهم وعاثوا في

الارض فساداً، ولكن بما أنهم قد ندموا على فعلتهم، وثابوا الى رشدهم، فالعفو خير وما قتل الاحرار كالعفو عنهم ولكن أرى ان الواجب يقضي بأنهم يردون ما نهبوا وما سلبوا الى أهله

رؤساء عتيبة : اذا كان الحجاز معاديا لنا ولا ينتظر الا إلحاق الاذى بنا فلا تبيحوا لنا غزو عشائره التي لا تزال خاضعة

سلطان نجد والعلماء : ان هذه أشهر حرم اتركوا الغزو فيها حتى تمضي فاذا مضت فلا بد من النظر الى ما فيه المصلحة

ثم انفض الاجتماع وسافر كل زعيم الى هجرته ليخبر قومه بما وقع من البحث وما حدث من النتائج في المفاوضة اه

(تأثير صوت نجد في العالم الاسلامي ولا سيما الهند)

لقد كان [illegible] سلطان نجد في العرب والعالم الاسلامي كالرياح التي تهب قبل المطر بشرى بين يدي رحمة الرب الرحيم، ثم كان قرار مؤتمر الشورى — هذا — كالسحاب الثقال ذات الرعد والبرق، فما عتم الغيث ان انبعق، والغوث ان أتسق

سر أهل الرأي والبصيرة من الشعب العربي وسائر الشعوب الاسلامية بهذا الطور الجديد لانقاذ جزيرة العرب ومشاعر الاسلام من طاغوت الحجاز وأوليائه الاجانب، وقد رجعنا صدى جريدة اتحاد الاسلام الايرانية لصوت نجد الاول، فألق السمع لصدى صوت جمعية الخلافة في الهند الاول والآخر :

﴿ كتاب جمعية الخلافة الى سلطان نجد ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

وبعد ان مسلمي الهند، امراءهم وعلماءهم وتجارهم وجميع طبقاتهم قد راقبوا من كثب مجرى أموركم وأقوالكم الصادرة من فؤادكم فتحقق لديهم ان في قلب

شبه جزيرة العرب ملة إسلامية، وشهامة قحطانية، ونهضة عربية، ولا سيما عندما انضممتم الى الوحدة العربية، وجاهرتم بمبادئها، وانكم ساعون لنصرتها

وكذلك أبت غيرتكم الاسلامية، وصفاتكم العبقرية، ان تروا الجامعة الاسلامية لا قيادة لها وتجنحوا لسكون ؛ فتقدمتم الى العالم الاسلامي معلنين ومصرحين أنكم مع العلماء لتأييد الشرع متضمون ، وفي المؤتمر الاسلامي العتيد داخلون ولحماية الخلافة مع ملوك الاسلام وامرائهم وقوادهم مدفعون ؟

فلا يسع علماء الهند الا أن يرفعوا أيديهم الى قبلة الدعاء في السماء داعين المولى عز وجل ان يكلل أعمالكم بالنجاح ، ويلهم بكم الاسلام والعرب سبل الفلاح ، انه مجيب الدعاء

كيف لا وقد زاد فرح وحبور مسلمي الهند عند ما تحققوا اخلاصكم ونطوعاتكم لاحياء الجامعتين العربية والاسلامية ، وها ان مسلمي الهند يعلقون الآمال الطوال على [illegible] العربي لتستطيعوا ان تقفوا بوجه كل أجنبي يقصد شبه جزيرتكم

أمدكم الله بنصره، وحرسكم بعنايته، وجعلكم الله مصباحا لانقاذ اخوانكم العرب من الذل والعار، الذين دهاهم وخيم على بلادهم بجهل الحسين بن علي وأولاده ضروب السياسة (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأملي لهم ان كيدي متين)

قرأنا خطابكم في صحيفة الاخبار الغراء الصادرة في ٦ محرم سنة ٣٤٣ الذي ألقيتموه في غرة ذي القعدة في مؤتمر رياض عاصمتكم فألفينا خطابكم مملوءا حكمة وأخلاقا وسياسة . قل ان توجد هذه المقدرة بامثالكم

ولقد طلب القواد منكم ان تغزوا مكة وتستخلصوها من الحسين، فابيتم ان تحتلوا بلدا مقدسا قبل الاتفاق على احتلاله مع جميع المسلمين، واعتبرتم ان البلاد المقدسة للمسلمين عامة ولا يجرون عملا قبل مشاورتهم في الامر، فهذا برهان صادق على اتباعكم سبيل الشريعة السمحة بنفس رضية، وديمقراطية اسلامية

والهند ترى التريث ضروريا ريثما يرد الحسين على الجواب الذي ارسله

اليه قبل تاريخه بعشرة أيام ، فاذا انقاد للانضمام الى الحلف العربي ووقع معكم ومع جيرانه محالفات دفاعية هجومية ضد كل عدو أجنبي ، فلا حاجة لسفك الدماء ولا ضرورة تسيغ احتلال بلاده . كما قال الله تعالى (وكفى الله المؤمنين القتال)

وعسى الله ان يهديه الى الطريق القويم بعد ان خانه حلفاؤه ، وتساط على الممالك العربية أهل وداده . انا لله وانا اليه راجعون

واذا رفض الحسين اقتراحاتنا جميعها فنرى مهاجمته واحتلال بلاده لازمين كي يستطاع ان توحد كلمة العرب في شبه جزيرتهم ويكون الحلف العربي متينا وشوكة الجامعة الاسلامية قوية . هذا (أي الهجوم عليه) لا نجيزه حتى يصلنا الجواب منه . أو يذهب خمسة عشر يوما عن ميعاد ورود الجواب . لان الحق قال في كتابه (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)

ومسلمو الهند يسرهم ان تنظم حكومة نجد ادارتها وداخليتها وترسل سفراءها الى جميع الدول وتعرض عليهم استقلالها ليعترفوا لها به وتنتظم مع التوازن الدولي الجديد وتوقع المعاهدات الحربية الدفاعية معهم

ولقد استبشر مسلموا الهند بالنجاح عند ما فتح سلطان نجد أبواب بلاده الى أحرار سورية والعراق وفلسطين ولا جرم ان هؤلاء واقفون على سبيل الحضارة والتمدن الحديث وأفكارهم عالية فسوف تستفيد الامة النجدية الفتاة منهم فوائد كبيرة تكون ان شاء الله سببا لرقاهية مجدها ورفع شأنها الى مصرف الدول الحية

وان مسلمي الهند يقترحون على دولتكم ان تجلبوا للرياض معامل للاسلحة من بلاد الغرب ، وان ترسلوا بعثات علمية من الطلبة النجديين الى بلاد الغرب يتعلمون كيف تصنع المخترعات الحديثة والآلات الحربية والمواد الكيماوية . ويأمل مسلمو الهند ان يوقع سلطان نجد محالفات حربية دفاعية هجومية مع الامام يحيى والادريسي وباقي أمراء الجزيرة وان يعرض علينا شروط الاتفاقيات لتطمئن قلوبنا ، ويهدأ روعنا على آخر قوات عربية اسلامية مستقلة مسلحة بقيت لحماية العرب ، والانضمام مع الاتراك والافغان وايران وباقي ملوك وأمراء الاسلام المسلحين لحماية الاسلام . وفق الله العاملين . وان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

(مبايعة الحجاز لحسين بالخلافة)

كان هذا الفصل وما بعده من أخبار خلافة حسين المكي التي حققنا انها «وضعت سقطا لم يستهل، ومضغة لم تكتمل» قد جمعت منذ ثلاثة أشهر وضاق عنها الجزء الماضي وجمع معها مواد أخرى في موضوعها ولكن تأخر هذا الجزء وسبقته الحوادث فأخرنا تاريخه حتى ظهرت طلائع انقاذ الحجاز والعرب من هذا الطاغوت الذي سمى نفسه «المنقذ» بسيف الحق الذي سله الله في نجد فوجب أن نختصر ما كنا جمعناه ونكتفي منه بالوثائق التاريخية للاعتبار بها دون استقصاء فنقول

صدر العدد ٧٦٩ من جريدة القبلة المؤرخ في ٣٠ رجب سنة ١٣٤٢ (٦ مارس سنة ١٩٢٤) مزيناً بقرور الذهب لانه خص بخبر المبايعة بالخلافة وما يتعلق بها . وافتتح بمقالة في (الخلافة والعرب) — وما العرب عندها الا حسين وأتباعه — فبعد التنويه بثورته الشؤمى، وأعماله القبحى، قال الكاتب المستأجر فيها ما [illegible]

« وعند قيام جلالته بالنهضة بايعه أهل الحل والعقد في الحجاز كما بايعه بذلك أهل سورية (عا فيها فلسطين) قبل النهضة وبعدها وكذلك أهل العراق ووفود اليمن وغيرها من الاقطار العربية بيعة مستكملة لشرائطها الشرعية ولا تزال وثائقها بين أيدينا »

ثم قال انه هو لم يقبل تلك البيعة في حينها تحاشيا عن التشويش والاضطراب في هذه المسألة الاسلامية الكبرى تاركا أمر البت فيها الى الرأي العام الاسلامي «ولكن مع الاسف «أن العالم الاسلامي ترك هذه المهمة الخطيرة هدفا للتلاعب حتى وصل بها الامر الى الحد العظيم الذي أنبأتنا به البرقيات المنشورة في غير هذا المكان من هذا العدد » يعني ما فعله الترك وقد ذكرنا برقياتها هذه وهي من عمان في الجزء الماضي ومنها أن جريدة المقطم سبقت الى ترشيح حسين للخلافة (١٢) ومن البرقيات التي لم تنشر برقية حسين لرئيس حكومة مكة بأن من امتنع من البيعة يقتل رميا بالرصاص فبايعة الحجاز وقعت بالاكراه خلافا لما ذكرته قبلة الدعاية الحسينية المزورة الا في تعليلها المبايعة بعمل حكومة انقرة اذ قالت

«ان هذا سبب هبوب الشعب السوري للمبايعة وأن هذه الانباء لما وصلت الى العاصمة (مكة) هب أهلها للمبايعة وإقامة الزينات والاحتفالات ثم قالت :

« ومما تقدم يتضح أن مبايعة الامة العربية لصاحب الجلالة الهاشمية بالخلافة ليست بالامر الجديد وانما كانت تأكيداً للبيعة السابقة »

ثم زعم الكاتب وهو محرر الجريدة المستأجرة الموظف لخليفته المزور، انه صار مكانا شرعا بقبول هذه البيعة ، فهو يرى أن تسمية خليفة تركي كان مانعا شرعا من هذا القبول! وكأنه نسي ماكتبه مولاه في قبلته نفسها من إثبات كفر الدولة العثمانية وبطلان خلافتها القديمة في الازمنة التي بايع خلفاءها هو واسلافه من قبله فيها ، ثم صرح مرارا ببوت الخلافة، وجهل أن حكمه بوجوب قبول البيعة الثانية دون الاولى يتضمن جهل الامة العربية التي زعم أنها بايعته بأن تلك البيعة كانت باطلة لا يجوز قبولها، أو فيقدم على ترك القبول الذي يترتب عليه تعطيل أحكام الشرع! ولا غرو فكل من المبايعين والمبايع صدق عليهم الحديث النبوي الحكيم «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور» متفق عليه من حديث أسماء بنت الصديق وعند مسلم عن عائشة أيضا (رضي الله عن أبيهما وعنهما) وذلك أن كلا منهما متعد على الشعوب الاسلامية كلها إذ ليس له فيه حق بنفسه ولا بالشرع كما بيناه في الفتوى التي أقمنا فيها الدلائل على بطلان هذه البيعة وعلى كونها لم يقصد بها معنى الخلافة الشرعية لتعذره

ثم ان جريدة القبلة ذكرت بعد تلك المقولة ما كان من الاحتفال في مكة بالمبايعة العامة والخاصة تعني مبايعة أسرة حسين وعشيرته الشرفاء ورجال حكومته ومبايعة العامة . وإننا ننقل منها نص الخطاب الذي نمقوه وتلاه على الناس قاضي القضاة ورئيس حكومة مكة ، حفظا لهذه الوثائق التاريخية وتذكيرا بما فيها من العبرة ، وهو :

(الخطاب الذي أعلنت به المبايعة بمكة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، الحمد لله الذي وفق أهل الحل والعقد والتدبير ، لتنصيب إمام يقوم بمصالح أفراد المسلمين الكبير منهم والصغير ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المرسل رحمة

وبشيرا ونذيرا ، والقائل ارشادا لامته « أمروا عليكم أميرا » ، وعلى آله وأصحابنا وسلم تسليما كثيرا ، وبعد فبناء على اضمحلال الامامة الكبرى منذ زمن بعيد وقد نص الشارع صلى الله عليه وسلم على تنصيب المسلمين إماما لهم بقوله « أمروا عليكم أميرا » ذلك أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقوله صلى الله عليه وسلم « من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية » ونص العلماء على أنه لا بد شرعا للمسلمين من إمام يقوم بتنفيذ أحكامهم ، وإقامة حدودهم ، وسد ثغورهم ، وتجهيز جيوشهم ، وحماية بيضتهم ، وقطع مادة شرور المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق ، وإقامة الجمع والاعياد ، وأخذ العشور والزكاة ، وقطع المنازعات وقبول الشهادات ، وتزويج الصغار الذين لا أولياء لهم وقسمة الغنائم ، لوجهين (الوجه الاول) انه تواتر إجماع المسلمين في الصدر الاول بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على امتناع خلو الوقت من خليفة وامام حتى قال ابو بكر الصديق في خطبته حين وفاته عليه الصلاة والسلام [illegible] مات ولا بد لهذا الدين من يقوم به » فبادر الكل الى [illegible] وهو دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يخل [illegible] ذلك ، بل اتفقوا عليه واستمر الناس بعدهم على ذلك (الوجه الثاني) ان في تنصيب الامام دفع ضرر مظنون ، ودفع الضرر المظنون واجب على العباد اذا قدروا عليه اجماعا لما نعلمه علما ضروريا ان مقصود الشارع فيما شرع من المعاملات والمناكحات والجهاد والحدود والمقاصات واظهار شعار الشرع في الاعياد والجمعات انما هو مصالح عائدة الى الخلق معاشا ومعادا ، وذلك المقصود لا يتم الا بامام يكون من قبل الشرع يرجعون اليه فيما يعن لهم ، فتنصيب الامام من أتم مصالح المسلمين ، وأعظم مقاصد الدين ، فحكمه الايجاب السمعي وقد يتمسك على وجوبه بقوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) .

وحيث ان شروط الامامة الكبرى قد توفرت في جلالة مليكنا ومنقذ ممالك العرب المعظم صاحب الجلالة الهاشمية الشريف الحسين بن علي تمت مبايعته فبايعناه بالخلافة سنة خمس وثلاثين بعد الثلثمائة والالف على أن يعمل فينا بكتاب الله

وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفي يومنا هذا التاسع والعشرين من شهر رجب الحرام من عامنا الحالي اقتضى الحال تأييد تلك البيعة وإعلانها للعموم فأكدناها اليوم ،

وحيث انه غائب في هذا الوقت ومولانا حجة الاسلام قاضي القضاة ومفتي السادة الحنفية ونائب رئيس وكلاء الحكومة العربية الهاشمية مفوض عام من قبل جلالته مدة غيابه في الامور الشرعية والادارية بايعه الرؤساء من الاشراف والسادة والعلماء والاعيان من أهل الرأي والتدبير من عموم أهالي الحجاز والمجاورين والوافدين على اختلاف طبقاتهم بالخلافة العظمى قائلين « بايعناك نيابة عن أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين سيدنا الشريف حسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون على أن يعمل فينا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ونقسم لك بالله العظيم على طاعته ورضاه والانقياد له في السر والعلانية وله علينا في ذلك عهد الله وميثاقه ما أقام الدين ، والجهد فيما فيه صلاح حال المسلمين (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) فقبل مولانا المومي اليه هذه البيعة خلافة والاعلام بذلك صار تحريره . اهـ بنصه ويليه دعاء له بالظفر والفتح والنصر وتحقيق سيفه في رقاب الطائفة الباغية الكافرة » اهـ فيا للفضيحة والخجل

(المنار) كنا عازمين على إحصاء كل ما في هذا الكتاب من مواضع النقد ، وإذ كان حسين قد عجز عن إحياء سقط خلافته بالدعاية كما توهم ومن يخبطه إبقاء لصورته ، وإذ تفسخ وقرب دفنه ، نكتفي بالاشارة الى بعض المسائل المهمة .

فأما دعوى مبايعته بالخلافة سنة ١٣٣٥ فان نص تلك المبايعة الذي نشر في جريدة القبلة كان بالملك على العرب لا بالخلافة ، واما دعوى أهليتهم المبايعة فباطلة فانهم عاجزون مستعبدون له ولعبيده لا حل ولا عقد لهم في بلدهم فضلا عن بلاد العرب كلهم الذين سخروا بمبايعتهم — فضلا عن العالم الاسلامي كله الذي حقره لقبوله هذه المبايعة — وقد بينا في فتوى الجزء الرابع بطلان هذه الدعوى ودعوى استجماعه لشروط الخلافة ، ومن المضحكات أن ذكروا فيها حماية الممالك الاسلامية وهو عاجز الا عن ظلمهم — وقد قرب عهد اسقاط اليمنيين ، وطرده من الحرمين الشريفين .

منشور الخلافة

كتب الملك حسين منشورا أذاعه على أثر المبايعة الخادعة الباطلة التي مثلت في شونة شرق الاردن ونشر في بعض الجرائد وهذا نصه:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحسين بن علي

(الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله أفضل الصلاة والتسليم وعلى آله وصحبه وكافة أنبيائه ورسله صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين،

أما بعد فإني أسأله الرأفة والرحمة بعباده والهداية والتوفيق لهم وان يجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين، إنه هو البر الرحيم والمنان الكريم، ثم انه لما كانت الامامة الكبرى، والخلافة العظمى، القائم عقد الأمة وعقد قوام الملة، وكان أمر صيرورتها وكيفيتها وما جرى فيها مدونا ومنقولا عمن تلقينا عنهم ديننا القويم وكان كل ماجرى من بعد يومه السعيد في كيفية حقوقها وصلاحيتها وسائر معاملاتها الى يومنا هذا موضحا في تواريخ العالم الاسلامي وسيره المعتبر فقدام حكومة أنقرة بما أقدمت عليه على ذلك المقام المكرم كيفما كان شكله جمل اولي الرأي والحل والعقد من علماء الدين المبين في الحرمين الشريفين والمسجد الاقصى وما جاورها من البلدان والامصار يفاجئوننا ويلزموننا ببيعتهم بالامامة الكبرى والخلافة العظمى حرصا على إقامة شعائر الدين وصيانة الشرع، لعدم جواز بقاء المسلمين أكثر من ثلاثة أيام بلا امام كايفهم صراحة من توصية الفاروق الاكرم رضي الله عنه لاهل شورى البيعة بعده كيفما كانت صيغة تلك الامامة واشكالها الى الآن وعليه

ولما كانت المملكة الهاشمية، والقطعة المباركة الحجازية، مهد الاسلام ومحل ظهوره، ومطلع نوره وكانت مصونة بعنايته تعالى من كل شائبة في حالتيها

السابقة والحاضرة ، ولا سيما العمل فيها بأحكام كتاب الله وسنة رسوله بجميع خصوصياته وعمومياته وانطباق حكم البيعة المشروعة من المبايع والمبايع له انطباقا لا يتصور حصوله في أي مملكة أخرى في الوقت الحاضر كان حقا علينا اجابة ذلك الطلب الحبيي المشروع بعد الاتكال على الله سبحانه واستمداد روحانية نبيه صلى الله عليه وسلم. لذلك قبلنا البيعة متوكلين عليه عز وجل مستمدين منه العون والعون والتوفيق لما يحبه ويرضاه وانا نرجوه سبحانه وتعالى ان يكون هذا الامر الذي قضى به في حكمته الازلية وقدرته الصمدانية وأظهر حكمة قوله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) مضاعفا لاتباع مسالك السلف الصالح .

نعم انا لم نتعرض البحث في شؤون فقه الامام الجليل إذ ان نهضتنا لا بل الى قبيل جرأة اقره على كرامته كما كانت وضعيته وذلك حذراً من توسع شقة الاختلاف لئلا [illegible] بطاقته ولا نكلف سوانا بما لا نراه عملا بقوله تعالى (قل كل يعمل على شاكلته فربكم (١) أعلم بمن هو أهدى سبيلا) ومع هذا فمن المسؤول أن يجعل هذه البيعة آلفة للمسلمين تضم قاصيهم ودانيهم وتسوقهم الى حسن الاتفاق مع مجاوريهم من أبناء دينهم ، وسكان بلادهم من أهل الكتب السماوية وسائر مواطنيهم بما اقتضاه الشريعة الاسلامية وتطبيق ما فرض في أمر دلهم ما لنا وعليهم ما علينا » وكل ما أوجبه عليهم الشرع الشريف من الرفق بالبشرية وخدمة الانسانية وتجنب الشرور والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مؤملين منهم حسن القيام بكل ما هو في معنى هذا مما أوجبه الله عليهم فردا فردا وجماعة جماعة وبالاخص العلماء الاعلام في أقطار الاسلام كافة »

حرر في ٥ شعبان سنة ١٣٤٢ هجرية

(المنار) هذا كل ما في المنشور من موضوع الخلافة وعبارته مفهومة في الجملة قليلة اللحن والغلط بالنسبة لكل ما اطلعنا عليه من كلام هذا الرجل ولعله

«١» في الاصل « فربك » وهو غلط لا يجوز لنا ابقاؤه على اصله

أملاه على أحد لحسن عبارته في الجملة والا فهي سخيفة ضعيفة في نفسها وأغلاطها كثيرة عليه هو وغرضنا من نقل هذا المنشور في المنار التعليق عليه بما هو حجة على المبايع والمبايعين له نوجز فيه لان أصل سقوط هذه الدعوى بالفعل صار قريبا

(١) اعتراف حسين بان سبب بيعته « إقدام حكومة أنقرة بما أقدمت عليه على ذلك المقام الكريم » أي الخلافة — دع سخافة عبارته « بما وعليه وعلى » وراجع عبارة جريدة (القبلة) تجده مكذباً لهذه الدعوى، ومصدقا لقولنا السابق المكرر ان هذه المبايعة ليست شيئا جديدا فما بايعه أخيراً في الشونة إلا بعض من بايعه أولا فان كانت البيعة الاولى صحيحة قامت بها عليه الحجة قبلها أولم يقبلها بانه غير أهل لها وعاجز عن القيام بأقل شؤونها اذ لم يعمل شيئا مما توجبه عليه واعادتها حجة الزامية على المبايعين بما أسندوه اليه من الاهلية مع ظهور بطلانها بالفعل كما هو ظاهر وبأدلة الشرع التي بيناها في فتوى الجزء الرابع . وان كانت غير صحيحة فانا [illegible]

(٢) قوله في توجيه صحة البيعة الجديدة انها « حرص [illegible] على إقامة شعائر الدين وصيانة الشرع لعدم جواز بقاء المسلمين أكثر من ثلاثة أيام بلا إمام »

تفند هذا التوجيه (أولا) بان فيه اعترافا بصحة خلافة عبد المجيد افندي العثماني وانه كان يقيم الشعائر ويصون الشرع . وهو كذب في نفسه فان عبد المجيد افندي لم يكن له من الامر شيء ، وكانت حكومة أنقرة تعبث بالشرع قبل تسميته خليفة بالاستانة ولا تعمل وفي أثنائها وبعدها (وثانيا) بان حسينا كان يقول ان هذه الخلافة باطلة وأشار الى ذلك هنا بقوله « كيفما كان شكله » واحترس واضعو خطاب المبايعة بمكة بمثله ايضا (وثالثا) أن مبايعي علماء المسجد الاقصى ومن تبعهم من أهل سورية هم الذين كانوا يرون صحة تلك الخلافة وبنوا المبايعة عليها فهذا الاختلاف بينهم وبين خليفتهم وأهل الحرم المكي معه يقتضي جهل أحد الفريقين بالخلافة الصحيحة وغير الصحيحة وعدم أهليته للمبايعة وبطلانها من قبله ، ولما كان قبول حسين لمبايعة الفريق الاول مبنيا على ركن الايجاب الفاسد تعين ان يكون عقد البيعة فاسداً بفساد ركن الايجاب بالذات وركن القبول بالتبع

وهذا دليل إلزامي والا فقد بينا بالادلة التحقيقية بطلان الركنين معا

(٣) زعمه انه أحق الناس بان يبايع وان الذين بايعوه أحق المسلمين بان يبايعوا ولهم أهل الحل والعقد في الاسلام ، وهو ما كررنا فساده وبطلانه بالادلة الحقيقية والالزامية ومنها عجزه عن القيام بأحكام الخلافة فيهم وفي غيرهم وعجزهم عن تأييده ونصره — وقد وقع ما يظهر صدقنا فيهما بزحف النجديين لانقاذ الحجاز من هذه الخلافة الكاذبة الخاطئة ، دع ما ظهر اولا من مخالفة العالم الاسلامي كله لهم .

(٤) قوله « اننا لم نتعرض البحث (كذا) في شؤون ذلك المقام الجليل » الى آخره.. ونكتفي فيه بتعليقاتنا على عدد (٢) وعلى ما سبق في خطاب بيعة مكة .



(الذي أذاعه حسين [illegible] قبل [illegible] شرق الاردن)

ان هذا الرجل [illegible] أمور [illegible] الا الدعاية لنفسه بالخداع وقول الزور والوعود التي تكذبها الاعمال والايام وقد اشر منشورا سماه منشور المودة وعد فيه بتأليف (مجلس شورى الخلافة) وان يكون إلا آلة لحمايته وأخوته كمجلس وكلائه وقد استشهد فيه بحديثين يدلان على جهله بأشهر ما يدور على ألسنة العوام من الاحاديث النبوية ، فكيف يكون نائبا عن الرسول (ص) وهو أجهل من اكثر العوام بدينه

(الحديث الاول) ما أورده بهذا اللفظ « لا يتم إيمان أحدكم حتى يتمنى لاخيه ما يتمنى لنفسه » ولفظ الحديث في الصحيحين وغيرهما عن أنس مرفوعا «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » والحب فوق التمني فقد يتمنى الانسان الخير لمن لا يحبه ولا يبغضه

(الثاني) لا يزال العبد مع مولاه ما زال في خدمة أخيه المسلم .وهذا مما يدور على ألسنة العوام بلفظ كان الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه . ولم

أسمعه من أحد بلفظ متتصل الحلاقة ، وهو لا يوجد في الصحاح ولا السنن ولا المسانيد بل ورد ما في معناه في بعض الكتب التي تعني بجمع الروايات الشاذة والواهية وكذا الموضوعة في الترغيب والترهيب فقد روى ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج والخرائطي في مكارم الاخلاق عن أنس « من أعان مسلما كان الله في عون أخيه . ومن فك عن أخيه حلقة كف الله عنه حلقة يوم القيامة » والمراد بالحلقة الرق وحسين بن علي يسترق الاحرار والحرائر ويأذن ببيعهم وبيعهن في حرم الله تعالى . وقد غضب على بعض التكرور لرغبتهم في التطوع للحرب مع الدولة حين أمرته هو بالدعوة الى ذلك عند اعلان الحرب الاخيرة — فجازاهم على ذلك من حيث يظنون أنهم أطاعوه بان أمر بخطف أولادهم و بيعهم ففقد أمره أحد الشرفاء الاشقياء منه ولو [illegible] ذكرنا اسمه وكنيته



التبرع [illegible] المنار [illegible] من [illegible] الكبار

من بعض الا[illegible] والسياسة هي اهداء ما يعتقد نفعه من المجلات والجرائد لبعض أصدقائه أو بعض طلاب العلم من أولادهم أو ان يحبب لهم ذلك ولو من غيرهم ، وطالما رأينا في الجرائد العربية السورية التي تصدر في أقطار أمريكا أسماء كثير من هؤلاء المتبرعين

واننا نعلم أن كثيرا من الناس يعتقدون أن المنار أنفع الصحف وأهداها وكان شيخنا الاستاذ الامام في مقدمة هؤلاء ، ويرى القراء كلمة له فيه ننشرها في ديباجة الغلاف من كل جزء . وكان يرى هذا من كبار الرجال الذين توفاهم تعالى الى رحمته كثيرون نذكر بعض المصريين منهم

(فمن الوزراء) شيخهم الاكبر مصطفى رياض باشا وهو أول من تبرع بالاشتراك بخمس عشرة نسخة كانوا يرسلونها الى بعض طلبة الازهر فرحمه الله واجزل ثوابه

(ومنهم) الوزير الكبير ابراهيم فؤاد باشا المناسترلي الذي كان وزير الحقانية صرح لي ولغيري أن المنار ضروري للنهضة الاسلامية التي تجمع بين هداية الدين والرقي المدني وتؤلف بينهما وقد فكر كثيرا في تعميم نشره واستشار يومئذ في ذلك

احمد فتحي زغلول باشا (وكان يومئذ رئيس محكمة مصر الاهلية ولقبه: بك) قالا: ان الاعانة الشخصية لا تستمر وصاحب المنار الابي لا يقبلها – كانا يعلمان مني ذلك وكان رياض باشا أول من عرضها عليّ واعتذرت عن قبولها – ثم قال الوزير لفتحي: فكر لي في طريقة لاعانة ثابتة يقبلها صاحب المنار بشرط أن يجعل بدل اشتراكه قليلا بحيث يسهل على طلاب الازهر وتلاميذ المدارس وغيرهم من الفقراء الاشتراك فيه فان هذا أنفع من الاشتراك في مئات أو الوف من النسخ ربما تعطى لمن لعله لا يقرأها – أخبرني فتحي رحمه الله بهذا، ومما أعترف به من ضرر الزهد الذي طبعت نفسي عليه قراءة إحياء العلوم وغيره من كتب التصوف أن كان من تأثيره أني لم أراجع أحدا من الرجلين في هذه المسألة على ما فيها من نشر تعاليم الاصلاح الذي أريده – رحمت ابراهيم فؤاد باشا قبل أن يضع له الخطة احمد فتحي باشا رحمهما الله تعالى. ولم أندم على هذا التفريط الا بعد موت الوزير بسنين [illegible] على حسن نيته

(ومنهم) محمود سامي باشا البارودي الاديب الشاعر الاكبر والذي كان رئيس الوزارة في عهد الثورة العرابية – وقد بلغ من ولوعه به أن كان يرسل الى المطبعة من يطلب له ما طبع منه فيقرأ كراسة بعد أخرى. وكان يترجم بعض الموضوعات لصديق له من الانكليز وقد نقل لي عن هذا الانكليزي أنه قال: إن المسلمين غير مستعدين لهذه التعاليم والمبادىء الآن ولكنهم سيريدون طبع المنار بعد خمسين سنة ويعملون به، وقد قال مثل هذه الكلمة من الاحياء سليمان افندي البستاني العالم السوري والوزير العثماني المشهور فكان من توارد الخواطر

ومن حملة الاقلام ورجال الصحافة الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد قال لي: ان المنار شيء غير اعتيادي ولا نعرف أحدا غيرك يقدر على القيام به . . . وان المسلمين في أشد الحاجة اليه، ومن الضروري أن يوجد في كل بيت من بيوتهم، ولكن كثرة تنويهه بالشيخ محمد عبده بالاطراء والتفضيل يوجد له أعداء كثيرين من أصحاب نفوذ وتأثير يصدون الناس عنه، والشيخ جدير بما يقول المنار ولكنه في غنى عنه الخ وقد أجبته بأن تنويه المنار بالشيخ يراد به ترشيحه لزعامة الاصلاح في العالم

الاسلامي ولا نعرف أحدا جديرا بهذه الزعامة سواه وهي عندي أهم من كثرة المشتركين في المنار، فقال: لا انكر ان هـذا غرض صحيح ولأن الشيخ أهل له . فعلمت باقراره هذا أنه لم يكن في قوله يقصد التفريق بني وبين الاستاذ الامام لاجل الخديوي الذي تقرب اليه كثيرون بالسعي لهذا التفريق ومنهم بطرس باشا غالي الوزير المشهور

وممن وافق الشيخ عليا من حملة الاقلام من الاحياء في قوله يجب ان يكون المنار في بيت كل مسلم داود بك بركات رئيس تحرير الاهرام فقد قال لي مرة: لو كان المسلمون يعرفون مصلحتهم — او ما هذا معناه — لدخل المنار كل بيت من بيوتهم . وكان هذا من توارد الخواطر ولا أذكر أي الرجلين سبق الى هـذه الكلمة ، وأنا لم أذكر له كلمة الشيخ علي يوسف ولما كتبها الا في ترجمته بعد وفاته

ومن كبار العلماء إمام اللغة في هذا العصر الشيخ محمد محمود الشنقيطي كما يعلم من تقريظه له الذي نشر في المجلد الثاني منه (ص ٣٤٩ م ٢) ولقب صاحبه « بغتي الآفاق » [illegible] ذلك بخطه على نسخة رحلته (الحماسة السنية [illegible])

ومن رجال القانون وعلماء الاجتماع صديقنا لطفي الواضع الاول لمشروع النقابات في مصر، كلمني في هذا الموضوع مرارا وربما انفرد بلومه إياي على المرة أو قلة المخالطة التي تقرب منها ، وقال إن المنار لا يكفي لتعميم هذه الافكار فيجب أن تتعرف الى جميع الطبقات المتعلمة ولذلك وسائل الخطابة والمحافل الماسونية ، ولكنني لم أعمل بنصيحته الا في إلقاء بعض الخطب في بعض الجمعيات الادبية الدينية

وأما الاحياء فحسبي أن يكون رجل العصر بمصر صاحب الرياستين رياسة الامة ورياسة الحكومة سعد باشا زغلول وفقه الله تعالى وأيده موافقا لخطة المنار في الاصلاح الديني ، وقد سمعت منه مرارا أن ارتقاء المسلمين المدني متوقف على هـذا الاصلاح ، كما أن أوربة لم يمكنها النهوض من الانحطاط الذي كانت مرتكسة فيه الا بعد اصلاح ديني ، وهذا الرأي كان أول من بثه في مصر وغيرها السيد جمال الدين ، وقد عرضت على سمعه في الربيع الماضي

خير تأليف جمعية للاصلاح الديني والمدني في الحجاز وجعله قطر سلم وحياد ، فكان مما قاله ولم لا تعملون هذا الاصلاح في مصر ؟ أليست هي محتاجة للاصلاح الديني ايضا ؟ ...

وقد كان هو أول من أمر باشتراك وزارة المعارف بنسخ من المنار لمدارسها في عهد توليه لوزارتها وكانت الوزارة قبله تشترك في جميع المجلات المشهورة بمصر من دونها ، لكراهة الانكليز كل اصلاح المسلمين ، ولذلك منعوا المنار من السودان من قبل الحرب بسنين بدسائس المبشرين

وانا لنرجو من دولته نظرة أخرى الى المنار عند سنوح الفرصة ولم نعرض عليه طلبا مكتوبا ولا شفويا به ، كما أننا لم نعرض مثل ذلك في عهد وزارته المعارف

ذكرنا بتاريخ المنار وآراء الكبار في تعميم نشره ما كتبناه وكيله في بيروت من تبرع تاجر من خيار تجارها وأكرم وجهائها (أنيس أفندي الشيخ) بخمس نسخ توزع من قبله على بعض [illegible] جزاه الله تعالى خيرا وجعله قدوة صالحة وذكرى نافعة لمحبي العلم والاصلاح

الشيخ سالم ابو حاجب

سبحان الحي الذي لا يموت اننا قبل أن نفرغ من ترجمة عالم العراق وامام الشرق في تلك الآفاق (السيد محمود شكرى الالوسي) لا ونعي بريد الغرب الاسلامي علامة الديار التونسية ، وإمام البلاد المغربية ، شيخ الشيوخ مفتي المالكية العلامة المستقل الاديب العاقل الشيخ سالم أبو حاجب ، تغمده الله برحمته ، وقد كان بين عالم الشرق والغرب تشابها عظيما وكان من حسن حظنا ان وجدنا صديقا لنا من تلاميذ كلا منهما يكتب لنا ترجمتهما وقد شاء الله تعالى أن يتأخر صدور هذا الجزء من المنار حتى ننشر فيه ترجمة علامة جامع الزيتونة الاكبر بقلم الاستاذ الفاضل الشيخ محمد الخضر نزيل القاهرة وقد ألقاها في حفلة جامعة في الجامع الازهر وهذا نصها :

تأبين رئيس العلماء في الديار التونسية

أقام طلاب العلم من جاليات شمال أفريقية حفلة بالجامع الازهر مساء يوم الاثنين الحادي عشر من الشهر الجاري حفلة لتأبين المأسوف عليه الاستاذ الكبير الشيخ سالم أبي حاجب مفتي الديار التونسية

افتتحت الحفلة بقراءة آيات من الذكر الحكيم ثم قام محرر هذا المقال وألقى خطبة في نشأة الفقيد ومواهبه السامية وعلمه الغزير وهذه خلاصتها :

نعت الينا « هاوس » والصحف التونسية فضيلة أستاذنا الشيخ سالم أبي حاجب واسطة عقد العلماء ورئيس المحكمة الشرعية المالكية بالديار التونسية ، فكان نعيه لدى العارفين بمقامه الاسنى كقبس من نار تذوب له القلوب لوعة وتتساقط له العبرات أسفا

كان الفقيد رحمه [illegible] العلماء الذين لا تجود بهم يد الايام الا في أوقات معدودة ، [illegible] هذا الاحتفال الجامع شذرا من آثار حياته الزاهرة خدمة للعلم والادب والتاريخ ، وان في سيرة العظماء من الرجال لعبرة لأولي الالباب

ولد الفقيد حوالي سنة ١٢٤٤ بقرية من قرى الساحل تسمى « بنبله » ثم ارتحل منها عندما بلغ سن التعليم الى حاضرة تونس لتلقي العلم بجامع الزيتونة الاعظم ، ولم يلبث أن سطع بين جدران ذلك المعهد شعاع ألمعيته ونبوغه ، وصلاحيته في أندية العلم والادب ولا سيما اذ كانت له في صناعة القريض براعة فائقة وفي نقده الشعر ذوق لا يقل عن ذوق العربي الصميم

ترقى الفقيد في مدارج العلم حتى تقلد وظيفة التدريس بالمعهد الزيتوني ، درس من علوم الشريعة والعربية كتبا عالية مثل شرح العضد على مختصر ابن الحاجب وشرح القسطلاني على صحيح الامام البخاري والشرح المطول لسعد التفتازاني . وكان يجلس لدرس هذه الكتب وغيرها على منصة التحقيق ويغوص عليها بنظر مستقل ، وينطق فيها بلهجة مجتهد نحرير ، فلا ينتهي من تقرير

موضوع الا بعد أن يعقد لما يجرى فيه من الخلاف محاكمة يدخل الى القول الفصل فيها من باب الحرية والانصاف

ولما وضع في فطرته من حب البحث والغوص في أغوار المسائل كان يتلقى أسئلة التلاميذ في الدرس بصدر رحب، وكثيرا ما يغمر الباحث النجيب بعبارات الثناء تشجيعا له على البحث، وأخذا بيده الى أن يسير مع أصحاب الآراء والمؤلفين على مقتضى حكمة من يقول «هم رجال ونحن رجال»

ولحفظه الراسخ وعبقريته البارزة كان بعض أقرانه مثل الاستاذ الشيخ مصطفى رضوان يقرر في درسه عازيا شيئا من الافهام التي انفرد بتحقيقها. وكثيرا ما يورد الفقيد في مجالسه أو دروسه في صدد الاستشهاد على بعض المعاني اللغوية عبارة القاموس بنصها حتى ظن كثير من أهل العلم أنه يحفظه على ظهر قلب. وأغلب مسائل الشرح المطول والمغني لابن هشام وشرح السيد على المفتاح وشرح [illegible] طرف لسانه مهما تدعو الحاجة الى الاستشهاد بشيء منها

ولم يكن الاستاذ ممن يسارع الى الاعتقاد بصدق من يخرج في زي المجذوبين أو يدعي أنه من أرباب الولاية والكرامة، وظهر منه هذا الخلق في مجلس بعض رجال الدولة فقال له: اعتقد ولا تنتقد. فقال الاستاذ: ليس الاعتقاد مما تنشئه النفس بمجرد الاختيار، وانما هو من قبيل العلم الذي لا يرتسم فيها لا بمؤثر من حجة وبرهان. وكان يحارب الخرافات والآراء السخيفة والاقوال المسندة الى الشريعة بمجرد الدعوى أو بأحاديث غير ثابتة، وكان يبدي رأيه بكل صراحة وان صادم المعروف بين شيوخ عصره كانكاره لوجود رجال الغيب ومشاهدة الجن بعين الباصرة ويرى أن ما يزعم من ذلك انما هو من قبيل تأثير الخيال

أحرز الفقيد بين رجال الدولة مكانة إكبار وإجلال، وانتظم له هذا الاقبال إذ كان من أولي النظر الواسع في شؤون الاجتماع، وما تقتضيه المدنية الراقية، وكذلك كانت دروسه في علوم الشريعة مملوءة بالبحث عن أسرارها من حيث المطابقة لما تستدعيه مصالح الشعوب. ومن هذا الوجه كان للاستاذ حياتان:

علمية وسياسية ، فاتخذه الوزير خير الدين باشا من مساعديه في تنظيم التعليم وإصلاح الادارة قبل الاحتلال ؛ وتقلد وظيفة العمل بادارة المال مضافة الى وظيفة التدريس بجامع الزيتونة

سافر الاستاذ الى ايطاليا مبعوثا من طرف الحكومة التونسية قبل الاحتلال لينوب عنها في قضية أقامتها على ورثة أحد قابضي أموالها المدعو « نسيم » وأقام هنالك زمنا واسعا التقى في خلاله بكثير من علمائها ودارت بينه وبينهم محاورات علمية وكانوا يلقون عليه أسئلة فيما يشكل عليهم من بعض الاحكام الاسلامية فيذهب في الجواب عنها الى طريق النظر الفلسفي حتى تقع أجوبته لديهم موقع القبول والتسليم . وكان الاستاذ يقول : إن هذه الرحلة مجموعة عنده في كتاب . وقص علينا انه دخل الى بعض المكاتب الحاوية لكتب عربية فتناول كتابا منها فكان أول جملة وقع عليها بصره « كان العرب اذا خطبهم لاعب الشطرنج منعوه وقالوا انه [illegible] بصورة فتوفر فيه الى الوزير محمد [illegible] وركب عليها من نظمه

لما شكت شحط النوى روحي التي	أبقيتها عند الاحبة بالوطن
أرسلت تمثالي لها يوعي	تسلو فلا تبغي التحاقا بالبدن

وسافر الفقيد رفيقا للوزير خير الدين باشا الى الآستانة وامتدح السلطان العثماني بقصيدة فأمر بمكافأته عليها بوسام فأبى وقال للمرسل من جانب السلطان ان حمل الوسام مما لا يرغب فيه أهل العلم ببلادنا بل يرونه بحكم العادة مزريا بمقامهم

وكان يلقي في شهر رمضان من كل سنة درسا من صحيح البخاري بجامع « سبحان الله » ودرسا من كتاب الموطأ في المدرسة المنتصرية ، ويشهدهما صاحب المملكة التونسية سمو الباي وكبير الوزراء في مجمع حافل من أعيان العلماء ، وتجري فيهما مباحثات من أقران الاستاذ أو نجباء تلاميذه ، وقد يورد بعض الابحاث الامير نفسه متى كان من رجال العلم مثل المغفور له الناصر باي وهذه الدروس التي كان يلقيها الفقيد بمثابة لا تزل محفوظة إذ كان يحررها كتابة قبل يومها المشهود

واشتهر بالفلسفة في العلوم الاسلامية فكان مورد المستشرقين ومن تشتد عنايتهم للاطلاع على حقائق الاسلام من فرنسيين وغيرهم فيجاتيهم أطراف المحاورة بنفس مطمئنة وأدب جيل

وكان يقوم بالخطابة والامامة بالجامع المعروف بجامع سبحان الله ويلقي خطبا يراعي في إنشائها ما تستدعيه حال الزمان والمكان . ومما ابتكره في الخطابة أنه كان يعمد الى ما يرد في الخطبة من حديث أو آية يسبق الى ظنه أنه بعيد المأخذ من أفهام السامعين فيشرحه بعبارات يصوغها على طريقة يانعة في التدريس وقد ظهر قسم من هذه الخطب مطبوعا في تونس منذ ثلاث عشرة سنة

وكان يشد ازر القائمين على بعض الاعمال الاصلاحية وكان النشء الناهض يلتف حوله ولهذا انتخبوه للخطابة في حفلة افتتاح المدرسة الخلدونية التي تعد شعبة من جامع الزيتونة لقراءة العلوم الرياضية والطبيعية والتاريخ . واذكر أني كنت [illegible] السعادة » فتحركت بعض النفوس الحاملة لكتم [illegible] فقال في الأجابة حال [illegible] من درس صحيح البخاري : لاغرابة بما يلقيه هؤلاء في سبيل عملك وتأس بالنبي عليه الصلاة والسلام اذ قال له ورقة بن نوفل : لم يأت أحد بمثل ماجئت به الا عودي .

وكان للفقيد عاطفة أدبية تسمو به الى الاحتفاء بالعلماء الوافدين على الحاضرة وبذل المستطاع في مجاملتهم . زار فيلسوف الاسلام الاستاذ الشيخ محمد عبده البلاد التونسية سنة ١٣٢١ ونزل ضيفا مكرما في بيت حضرة السيد خليل ابي حاجب نجل الفقيد وهو اليوم وكيل وزير الداخلية بتونس فعرف الفقيد فضل الاستاذ الشيخ محمد عبده وكان يقضي جل أوقاته في مؤانسته ومذاكرته العلمية أو الادبية أو الاصلاحية

وورد عالم الجريد الشيخ ابراهيم ابو علاق الحاضرة وأتى درس الفقيد بجامع الزيتونة ولم تنعقد صلة التعارف بينهما بعد ، فاخذ يناقش الاستاذ في البحث الذي كان بصدد تقريره ولما طال أمد المناقشة ووقع في ظن الفقيد أن ليس الغرض منها طلب الحقيقة بدرت منه كلمة كبرت على مسمع الشيخ أبي

علاق فانصرف عن الدرس وقال

تقاصرتُ مذ ابدى التطاول سالم وسالمت والقاصي المكان يسالم

ولما وصل نبأ هذا البيت الى مجلس الفقيد نهض في الحال فلقاء الشيخ أبي علاق فاسترضاه وخطب مودته ودامت بينهما الصداقة المحكمة

وتحلى الفقيد بآداب راقية مثل التواضع والحلم والصراحة فازداد شرفا على شرف العبقرية وانجذبت له القلوب بعاطفة المحبة بعد امتلائها بهابته واجلاله حتى اذا حضر مجتمعا خاصا أو عاما مسك بعنان المجلس وأخذ ينشر على اسماع الحاضرين من غرائب المسائل ولطائف الادب مايخيل اليهم انهم في جنة عالية لاتسمع فيها لاغية ، وكنا نرى أهل العلم والادب يقصدون في الاحتفالات الجامعة الى ان تكون مجالسهم بمقربة من مجلس الفقيد حرصا على اقتباس أدب مؤنس أو اقتناص علم غريب

وانفرد بين [illegible] بزي علماء الشرق أي يلبس القفطان [illegible] ولم يكن يلتزم تقاليد أهل العلم وذوي المناصب الشرعية في بلاده حتى انه كان يلبس الجزمة ايام كان لبس أهل العلم لها شيئا نكرا ، ويتجول في بعض المتنزهات العامة راجلا وغيره من ذوى المناصب العالية لا يغشونها الا مرورا في عرباتهم

وكانت له عند افتتاح الكلام عقدة خفيفة قليلة على السمع حتى اذا انطلق لسانه في التقرير سمعت العربية الفصحى ولهجة تسوغها الاسماع بارتياح وإعجاب.

ومن المعروف عن الاستاذ انه كان يطمح الى طول الحياة ويمثل حركة الساعة الميقاتية بحسيس الارضة في كلها من عمر الانسان ، وينقل عنه في تعليل عدم حمله للساعة انه يكره ان يسمع أو يرى آلة تذكره كيف تنقضي حياته العزيزة شيئا فشيئا

هذا ما أجده في الذاكرة من مآثر حياة الاستاذ الذي فارقته — وبودي لا أفارقه — برحلتي الى بلاد الشرق سنة ١٣٣٦ — وقد ناهز التسعين من عمره . اه

(علاوة)

حكى الاستاذ ان أحد الباشاوات من قواد الجند بالاستانة دعاه الى منزله